

رَمَضَانُ زُكَاةُ الشَّهْرِ

فَإِنَّ طُلُوبَهَا

«ثَلَاثُونَ حَلَقَةً إِذَا عِيَتْ»

د. كمال الدين جمعة تبركو

مكتبة
التوبة

رمضان مدرسة
فأين طلابها؟!

مكتبة الكويت الوطنية
National Library of Kuwait



عنوان الكتاب : رمضان مدرسة، فأين طلابها؟

اسم المؤلف : د. كمال الدين جمعة بكرو.

نوع المطبوع : كتاب - الطبعة : الأولى - عدد الصفحات : ٢٢٤

الناشر : المؤلف نفسه.

ردمك: ISBN: 978-9921-0-3259-8

حقوق الطبع محفوظة

إلا لمن أراد طبعه باسم مؤلفه

بدون حذفٍ أو إضافةٍ أو تغييرٍ، فله ذلك، وجزاه الله خيراً!

ويندفع حكم هذا الصريح على مؤلفاتي السابقة.

المؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



+ 965 97684306

للتواصل مع المؤلف



Bakro1956@Gmail. com

رمضان مدرسة فأين طلابها؟!

« ثلاثون حلقة إذاعية »

د. كمال الدين جمعة بكرو

«إِذَا صُمْتَ، فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ
وَالْمَاثِمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ
صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صِيَامِكَ سَوَاءً».

جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

مُقَدِّمَةٌ

تتسع دائرة تطبيق الإسلام باتساع مفاهيمه في أذهان أتباعه ، والعكس منه صحيح ؛ لأن الإنسان لا يمكنه التعامل الحسن مع ما يجهل إلا إذا توقعنا من الأمي أن يكتب موضوعاً في الإنشاء! .

والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون إلى أن يُعُوا مبادئ دينهم في التوحيد والعبادات والمعاملات ؛ فإن حصل لهم ذلك ، كانوا أكثر امتثالاً له ، واعتزازاً به ، ودُوداً عنه .

وانطلاقاً من ذلك كانت لي عدة محاولات في توسيع مفاهيم دينية مهمة ، كان منها: مفهوم الشكر ، والزهد ، والعبادة ، والإحسان ، وقد تفضلت إذاعة القرآن الكريم بدولة الكويت ببثها .

وللغاية ذاتها قمت بتسجيل ثلاثين حلقة إذاعية^(١) بعنوان (رمضان مدرسة ، فأين طلابها؟) ، وهي مادة هذا الكتاب ، هدفت من خلالها إلى توسيع مفهوم عبادة الصوم ، كي ينعم الصائم بآثارها في توحيده وأخلاقه وسلوكه .

بلغت المواد الدراسية في مدرسة رمضان عشراً ، واشتمل نظامها على مكافآت لطلابها المجدين ، وعقوبات للكسالى والمتهاونين .

تذكير: قد يجد القارئ بساطة في التعبير وإطناباً ، وتذكيراً بما كان في الحلقات السابقة ، وتكراراً في خطاب المستمعين والمستمعات .

(١) قدمتها لإذاعة القرآن الكريم بدولة الكويت ؛ بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك لعام:

والعذر في ذلك أن مادة البحث حلقات يومية إذاعية قصيرة ، دامت شهراً كاملاً ، فهي ليست محاضرة علمية تنتهي بساعة أو ساعتين ، كما أن متابعي الإذاعة كثيرون جداً ، وهم في مستويات ثقافية مختلفة ، فسرت معهم على سير أضعفهم ؛ حتى تكون الموضوعات مفهومة للجميع إن شاء الله تعالى .

وألفت هنا إلى بعض الرموز المستعملة في البحث :

يرمز الحرف (ط) إلى الطبعة ، و(ص) إلى الصفحة ، و(ج) إلى الجزء ، و(هـ) إلى السنة الهجرية ، و(م) إلى السنة الميلادية ، و(د) إلى «دكتور» . و(. . .) يعني في العبارة المقتبسة حذف . وكلمة (يُنظَر) تعني أخذ العبارة المقتبسة بالمعنى ، أو بتصرف يسير ، وما بين [] إضافة على العبارة المقتبسة من كلامي .

والله من وراء القصد .



الحلقة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين .

اللهم ، لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ؛ فإنك إذا شئت جعلت الحزن سهلاً ، سهلاً لنا أمورنا ، واشرح صدورنا ، واهدِ قلوبنا ، وسدد ألسنتنا .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! يشهد المسلمون في أيامهم هذه شهراً عظيماً مباركاً ، شهراً تزينه الطاعات ، وتحل فيه البركات والمكرمات ، شهراً فيه ليلة مباركة ، هي خير من ألف شهر ، شهراً أنزل الله ﷺ فيه خير كتبه على خير رسله محمد ﷺ ، شهراً يُدحر فيه الشيطان ، وتُفتح فيه أبواب الجنان ، وتغلق فيه أبواب النيران ، شهراً لا يُرد فيه الدعاء ، ويضاعف فيه الجزاء ، شهراً يتنافس فيه المسلمون في فعل الخيرات ، واجتناب المعاصي والمنكرات ، إنه شهر رمضان المبارك ، شهر الفتوح والانتصارات .

أيها الإخوة والأخوات ! رمضان مدرسة ؛ فأين طلابها؟! أجل ، رمضان مدرسة ؛ فأين طلابها؟! رمضان مدرسة يتلقى فيها الصائمون دروساً في الفقه والأحكام ، ودروساً في العقيدة والأخلاق .

والانتسابُ إلى مدرسة رمضان إلزامي في حق من توفرت فيه شروط الصوم ؛ نص على ذلك القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وهو ما عليه إجماع الأمة ، قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ [البقرة: ١٨٣] . وقال سبحانه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

ولقد عَدَّ النبي ﷺ صَوْمَ رَمَضَانَ ركنًا من أركان الإسلام، يكفر جاحده، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» أخرجه البخاري^(١).

وإذا كان رمضان مدرسة، فالمدرسة لا بد لها من طلاب، ومقررات أو مواد دراسية، ولا بد لها من مكافآت وعقوبات أيضاً:

فمن هم طلاب مدرسة رمضان؟.

طلابها - بلا ريب - الصائمون، وهم فيها درجات؛ فمنهم المجتهدون، ومنهم المقبولون، ومنهم الضعفاء الخاملون، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ...» أخرجه أحمد^(٢)، وإسناده حسن.

قال أحد الزهاد: (الصوم على أربعة أنواع:

صيام العوام: وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع.

وصيام خواص العوام: وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل.

وصيام الخواص: وهو الصوم عن غير ذكر الله وعبادته.

(١) برقم: ٨، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) برقم: ٩٦٨٥.

وصيامٌ خواصّ الخواص: وهو الصوم عن غير الله؛ فلا فطرَ لهم إلى يوم القيامة^(١).

مستمعيّ الكرام! يطيب لي أن أقرأ عليكم في فضل الصوم هذه العبارة من كتاب (حاشية رد المحتار على الدر المختار) لابن عابدين رحمته الله: (اعلم أن الصوم من أعظم أركان الدين، وأوثق قوانين الشرع المتين، به قهر النفس الأمّارة بالسوء، وأنه مركّب من أعمال القلب، ومن المنع عن المآكل والمشارب والمناكح عامة يومه، وهو أجمل الخصال... غير أنه أشقّ التكاليف على النفوس، فاقترض الحكمة الإلهية أن يبدأ في التكاليف بالأخف، وهو الصلاة تمريناً للمكلف ورياضةً له، ثم يثني بالوسط وهو الزكاة، ويثلث بالأشقّ وهو الصوم، وإليه وقعت الإشارة في مقام المدح والترتيب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ وَالصَّاتِمَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] وفي ذكر مباني الإسلام: «وإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» الحديث^(٢)، فاقتدت أئمة الشريعة في مصنفاتهم بذلك^(٣). أي فاجعلوا الصوم في مصنفاتهم بعد الصلاة والزكاة.

أيها الإخوة الصائمون والأخوات الصائمات! ما هي المواد الدراسية في مدرسة رمضان؟.



(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٤ ص ١٠٩.

(٢) تقدم تخريجه من قريب.

(٣) ج ٢ ص ٣٦٩ و ٣٧٠.

✽ المادة الأولى: ثقافة رمضان:

أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات! تُعدّ هذا المادة توطئةً للمواد الأخرى، ومدخلاً إليها لا بد منه.

أيها الإخوة والأخوات! بعد تتبعي للأدلة الشرعية واستقراءها بجُهدي المتواضع ظهر لي أن العبادات في الإسلام - بما فيها الصوم - حتى تؤتي ثمارها، ويثبت أجرها، لا بد فيها من أربعة أشياء:

أولاً - حسن أدائها.

ثانياً - الإخلاص فيها.

ثالثاً - تصور ثوابها.

رابعاً - مراقبة آثارها.

✽ أما حسن أداء العبادة، فبأن يؤديها العبد لله ﷻ بكل الخضوع والتذلل، وبكل الرضا والحب، وعلى الوجه المشروع في الكتاب الكريم والسنة المطهرة؛ بلا زيادة ولا نقصان، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ». أخرجه مسلم^(١).

✽ وأما الإخلاص في العبادة فبأن يتغني بها العبد وجه الله وحده لا شريك له، محتسباً عنده الأجر والثواب، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: هـ].

✽ وأما تصور ثواب العبادة فهو ينسجم مع ما جُبلت عليه النفس البشرية من

طموح إلى تحقيق المكاسب والمغانم ، قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [آل عمران: ١٤] .

وحتى لا يُشغل الناس بالأرباح الدنيوية العاجلة عن الأرباح الأخروية الباقية ، قال تعالى في الآية التالية: ﴿قُلْ أُوْبِيئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥] .

فالمسلم الفطن يؤثر ما عند الله ﷻ على ما عند الناس ، ويقدم آخرته على دنياه ، ويسعى حثيثاً إلى بناء مستقبله الأخروي قبل الدنيوي ، لماذا؟ لأنه يعتقد جازماً أنه ما دام حياً فعلى الله تعالى رزقه ، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] . ولهذا يكفي في طلب أرزاق الدنيا المشي إليها - دون السعي أو الجري - مع حسن التوكل على الله تعالى ، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] .

لكن ثواب الله ﷻ ، وأرزاق الآخرة لا بد لئيلها من مجاهدات عظيمة ، وعبادات مخلصّة ، وعملٍ صالح دؤوب ، وذلك لعدة مسؤوليات ، منها:

* أولاً - ثواب الله عظيم ، ورزقه كريم ، فأقلُّ قليله خير من الدنيا وما فيها كثرة وبقاءً ، ونفعاً وغنائاً ، قال الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٌ﴾ [النحل: ٩٦] . وقال سبحانه: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨] . وقال رسول الله ﷺ: «... وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» أخرجه البخاري^(١).

(١) برقم: ٢٨٩٢ ، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

* ثانيًا - إن الله ﷻ علق ثوابه الأخرويَّ بصدق الإيمان ، وحسن العمل ، والمصارعة الجادة في ابتغاء رضاه ، ونيل ما عنده ، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] . وقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] .

أما الأرزاق الدنيوية فيُعطاها المسلم والكافر على حدٍّ سواء ، يقول الله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» أخرجه الترمذي^(١) ، وهو صحيح .

فالمضى إلى الجنة والمغفرة لا بد فيه من المصارعة والمبادرة ، لا بد فيه من الكدِّ والكدح ، أما الدنيا فيكفي في طلبها المشي ، كما جاء في الآية الكريمة التي سبق الاستدلال بها ، وهي قول الله ﷻ: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥] .

وإليك الآن اثنين من الأدلة الكثيرة على أهمية تصوُّر الأجر في حمل المسلم على العبادة ، وإقباله نحوها ، أما الدليل الأول فهو ما أخرجه مسلم^(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه متحدثًا عن غزوة بدر المباركة ، يقول:

«... انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ

(١) برقم: ٢٣٢٠ .

(٢) برقم: ١٩٠١ .

الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يُقَدَّمَنَّ (١) أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ. فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ. قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بَخٍ بَخٍ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا! قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا!. فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ (٢)، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْنُ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ! قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ! (٣).

وأما الدليل الثاني فعن أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ [أبي موسى الأشعري رضى الله عنه] قَالَ: «سَمِعْتُ أَبِي - وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ - يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ. فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأْ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ. ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ (٤)، فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ، فَضْرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ». أخرجه مسلم (٥).

هذا والله أعلم، ولنا في الغد لقاء آخرُ بعون الله ﷻ، أعاننا الله على الصيام والقيام، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) وجاءت بلفظ: «لَا يُقَدَّمَنَّ». الإمام أحمد: ١٢٣٩٨، صحيح.

(٢) القرن: جَعْبَةٌ - محفظة - السُّبَاب. يُنْظَر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤ ص ٥٥.

(٣) جفن السيف: غمده وغلافه الذي يُحفظ فيه، وكسره يعني القتال حتى الموت أو النصر.

(٤) برقم: ١٩٠٢.

الحلقة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً ، والصلاة والسلام على أكمل خلقه ، وأشرف رسله ، نبينا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه من بعده .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! أتابع معكم اليوم - بإذن الله تعالى - المادة الأولى من مقررات مدرسة رمضان ، وهي مادة (ثقافة رمضانبة) .

ظهر لنا في الحلقة السابقة أن العبادات في الإسلام - بما فيها الصوم - كي تؤتي ثمارها ، ويثبت أجرها ، لا بد فيها من أربعة أشياء :

حسن أدائها ، والإخلاص فيها ، وتصور ثوابها ، ومراقبة آثارها . أما حسن الأداء ، والإخلاص ، وتصوّر الثواب فقد تقدم فيها الكلام ، واليوم أستهل هذا اللقاء المبارك - بعون الله تعالى - بالحديث عن مراقبة آثار العبادة :

أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! إن الله العليم الحكيم جعل لكل عبادة آثاراً كثيرة ، منها ما يخص الفرد ، ومنها ما يخص الجماعة ، ويمكن اختزال آثار العبادات جميعها في هذه العبارة : إخلاص في القلب ، وإحسان إلى الخلق . نعم ، إخلاص في القلب ، وإحسان إلى الخلق .

ومن رحمة الله الواسعة بخلقه أن جعل في تعبدهم صلاحهم وفلاحهم في

الدنيا والآخرة، وهو - سبحانه - غني عن عبادتهم، فهو يقول - جل في علاه -: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

ومن رحمته أيضاً أن جعل أجر العبادات وثوابها مرهون بتحقيق آثارها، فعلى قدر تحقق الأثر يكون الأجر، وإذا ما خلت العبادة من آثارها كانت صورة لا روح فيها، وشكلاً بلا مضمون، وعملاً لا ثواب فيه .

فالصلاة لا بد أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .
والزكاة تطهر النفس من البخل والشح، وتزيع الفقر عن كاهل المجتمع، قال الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] .

والصوم يورث في النفس التقوى بكل معانيها، قال ﷻ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] . وهكذا ختمت الآية الكريمة بالفعل المضارع (تَتَّقُونَ) الذي لم يُسمِّ مفعوله؛ فأفاد عموم ما يُتَّقَى، فالصوم يقي الصائم من مؤذيات كثيرة يصعب حصرها أو عدّها، منها ما يكون في الدين، ومنها ما يكون في البدن، ومنها ما يكون في الدنيا، ومنها ما يكون في الآخرة .

ويؤكد هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ...» . أخرجه البخاري^(١) . والجُنَّة: الثُّرس التي يتقي بها المقاتل وقَع السيف والسهام، وقد جاء بهذا المعنى حديث شريف يقول فيه رسول الله ﷺ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ» . أخرجه النسائي^(٢)، وهو صحيح . ويقول ﷺ في حديث آخر: «إِنَّمَا

(١) برقم: ١٨٩٤، عن أبي هريرة ؓ .

(٢) برقم: ٢٢٣٠، عن عثمان بن أبي العاص ؓ .

الصَّيَامُ جُنَّةٌ ؛ يَسْتَحِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ...». أخرجه أحمد^(١) ، وإسناده حسن .

و(إنما كان الصوم جُنَّةً من النار ؛ لأنه إمساك عن الشهوات ، والنار محفوفة بالشهوات ؛ فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا ، كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة)^(٢) . ويؤكد هذا قوله ﷺ في آخر الحديث : «يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ» فصرح بذكر الشهوة . قال ابن عبد البر : (حسبك بكون الصيام جُنَّةً من النار فضلاً)^(٣) .

والصائم بصومه يتشبه بالملائكة ؛ وهم عباد الله المكرمون المتقون ؛ لأن ترك الطعام والشراب والشهوة من صفاتهم .

وأما الحج فتجتمع فيه آثار العبادات كلها ، ولهذا كان فرضه على العباد مرة واحدة في العمر كله ، وإليكم - أيها الإخوة المستمعون ! - هذه الآية الكريمة ، وقد اجتمعت فيها بعض من آثار الحج ، يقول الله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

ويحسن بي الآن - يا طلاب مدرسة رمضان ! - أن أقدم نبذة موجزة عن شهر رمضان .

أيها الإخوة والأخوات ! لماذا سمي هذا الشهر بشهر رمضان ؟ .

كلمة رمضان أصلها: رَمَضٌ . و(الرَّمَضُ في اللغة: شدة وقع الشمس على

(١) برقم: ١٥٢٦٤ ، عن جابر رضي الله عنه .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٤ ص ١٠٤ .

(٣) المكان نفسه ، اقتبسه ، ولم يذكر المصدر .

الرمل وغيره . وأرض رَمَضَاءَ ورَمِضَةً . وقد رَمَضَ يوماً ، يَرْمِضُ رَمَضًا: اشتدَّ حرُّه . ورَمِضْتُ قدمه من الرَمَضَاءِ ، أي احترقت^(١) .

ويقال أيضاً: (رَمِضْتُ الفِصال: أي بركت من شدة الرمضاء - أي: حر الرمال - وإحراقها أخفافها ، والفِصال: جمع فصيل ، وهو ولد الناقة إذا فُصل عن أمه)^(٢) .

(وشهر رمضان يُجمع على رَمَضاناتٍ ورَمِضاءٍ ، يقال: إنَّهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمَّوها بالأزمنة التي وقعت فيها ، فوافق هذا الشهر أيامَ رَمَضِ الحرِّ ، فسمِّي بذلك)^(٣) .

(وقيل لشهر رمضان: شهر الصبر^(٤)) ؛ لصبر صائميهِ عن المطاعم والمشارب نهاراً^(٥) .

بل يجتمع في الصوم الصبر بأنواعه الثلاثة: الصبر على الطاعة ، وهي الصوم ، والصبر عن المعصية كالأكل والشرب والجماع في نهار رمضان ، والصبر على أقدار الله تعالى ، ومنها: الجوع والعطش وضعف البدن .

وعملًا بقاعدة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ فإن مراقبة هلال رمضان من فروض الكفايات التي يخاطب بها المسلمون كافةً ، الأمر الذي دأب عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم ، والتابعون لهم بإحسان إلى يومنا هذا .

(١) الجوهري ، الصحاح في اللغة ، مادة: رمض .

(٢) يُنظر: الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مكتبة ابن تيمية ، ط ٢ ، ج ٣ ص ٤٤٤ ذيلًا ، من تعليقات المحقق محمود شاكر .

(٣) الجوهري ، الصحاح في اللغة ، مادة: رمض .

(٤) بل هو بهذا الاسم في السنة ، كما جاء في حديث النسائي - برقم: ٢٤٠٨ - ، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وهو صحيح .

(٥) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١ ص ٦١٧ .

ولقد حفظت لنا السُّنة المطهرة - أعزائي المستمعين! - آداباً عند رؤية هلال رمضان وغيره من الأهلة، يَجْمُلُ بالمسلم أن يأخذ بها، فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى الْهَلَالَ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ». أخرجه أحمد^(١)، وهو حسن.

والهلال^(٢) يكون من الليلة الأولى إلى الثالثة، ثم هو قمر، وهو من الإهلال الذي هو رفع الصوت؛ لأن الناس يرفعون أصواتهم إذا رأوه بالإخبار عنه، وأهل المَحْرَم بالحج: رفع صوته بالتلبية. واستهلال الصبي: أن يرفع صوته بالبكاء عند ولادته.

وفي هذا الحديث أدب إسلامي رفيع مع رؤية الهلال، فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ». أي أطلعه علينا مقترباً بالبركة ودوام الإيمان، وبالسلامة من كل مَضْرَة وسوء، وبدوام الإسلام أيضاً.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ» خطابٌ للهلال تنزيهاً للخالق أن يُشَارَكَ في تدبير ما خَلَقَ، وفي هذا إبطال لعقيدة من يزعم أن للكواكب والأبراج أثراً في سلوك الإنسان وتقرير مستقبله.

وإذا كان من كمال الإيمان بالله وَعَلَّمَ الفرح بالطاعة، والحزن بالإساءة؛ امتثالاً لقول نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ». أخرجه الإمام أحمد^(٣)، وإسناده صحيح. فإننا نرى المسلمين - سالفهم ولاحتيهم -

(١) برقم: ١٣٩٧، والترمذي: ٣٤٥١.

(٢) يُنْظَر: المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، ج ٩ ص ٢٩١. والمُطَرِّزِي، المُغْرِب في ترتيب المعرب، مادة: هلال.

(٣) برقم: ٢٢١٦٦، وابن حبان: ١٧٦، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

يستبشرون بقدوم شهر رمضان المبارك، ويهتفون أنفسهم بيزوغ هلاله الكريم، الذي فيه تجتمع الطاعات وتتزاحم، وتتضاعف الأجور وتتعاظم؛ صيامٌ بالنهار، وقيامٌ بالليل، وتلاوةٌ للقرآن الكريم، وتصدقٌ على الفقراء والمساكين، وعمرةٌ في رمضان تعدل حجةً كما ثبت في الحديث الصحيح، الذي أخرجه الإمام مسلم^(١).

كيف لا يفرح المسلم بقدوم رمضان والله ﷻ يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿[يونس: ٥٨]؟! .

كيف لا يفرح المسلم بقدوم رمضان، وقد أخبر النبي ﷺ أن رمضان شهر مبارك، وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: «لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ!». أخرجه البخاري^(٣).

وحق لمن وعى معنى البركة أن يفرح برمضان، فما البركة أيها الإخوة والأخوات؟! (البركة هي: الكثرة في كل خير. والمبارك: ما يأتي من قبله الخير الكثير)^(٤). زماناً كان المبارك كشهري رمضان، أو إنساناً كنبى الله عيسى بن مريم - على نبينا وعليه السلام -، والذي قال الله فيه: ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارِكًا أَيَّنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١]. أو كان المبارك مكاناً كالمسجد الأقصى في فلسطين السليبية - أعادها الله تعالى سالمةً إلى المسلمين -، وقد قال الله ﷻ في المسجد الأقصى: ﴿سُبْحَانَ

(١) برقم: برقم: ١٢٥٦، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تقييد الشياطين؛ كي يكون اختيار المرء للطاعة خالياً من وسوسة الشيطان.

(٣) برقم: ٣٢٧٧، واللفظ هنا من رواية الإمام أحمد: ٨٩٩١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة: برك.

الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ﴿[الإسراء: ١]﴾. أو كان المبارك عملاً صالحاً كالسُّحُور، وقد شهد ببركته النبي ﷺ حينما قال: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكََةً». أخرجه البخاري^(١). وببركة السُّحُور - وإن كان شَرْبَةً ماء - يكون الصائم أصبر على الجوع والعطش بإذن الله تعالى، وهو أمر مجرَّب معروف.

وسوف يأتي تمامه في لقاء الغد - بإذن الله تعالى - ، أعاننا الله على الصيام والقيام ، وجعلنا من عُتَقَاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد عبد الله ورسوله ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .



(١) برقم: ١٩٢٣ ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

الحلقة الثالثة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين !.

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! وتتميمًا للمادة الأولى من مواد مدرسة رمضان ، وهي بعنوان (ثقافة رمضان) التي تقدم الكلام فيها ، وقد انتهى بنا الكلام في الحلقة السابقة عند تعريف البركة ، وقلنا هناك : البركة هي الكثرة في كل خير . والمبارك : ما يأتي من قبله الخير الكثير . والبركة كما تكون في الأشخاص تكون في الزمان والمكان والأفعال .

وشهر رمضان - بلا ريب - من الأزمنة المباركة ، لقول النبي ﷺ في رمضان : «قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ...» . متفق عليه^(١) . ويفيد الحديث أن رمضان فيه خير كثير ، باركه الله ﷻ بخلاف كثيرة ، وفضائل عظيمة ، تقدّم ذكر بعض منها ، وأهمها : نزول القرآن الكريم ، وهو كتاب مبارك ، نزل في شهر مبارك ، على قلب رجل مبارك ، نبينا محمد ﷺ ، قال الله ﷻ : ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] . وقال سبحانه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ

(١) البخاري: ٣٢٧٧ ، ومسلم: ١٠٧٩ ، والإمام أحمد: ٧١٤٨ ، واللفظ له .

الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴿البقرة: ١٨٥﴾ .

ولقد دلت الأدلة أن القرآن الكريم نزل من اللوح المحفوظ جملةً واحدةً إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وكان ذلك في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] . وليلة القدر هذه سماها القرآن الكريم ليلةً مباركة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣] .

أما أن ليلة القدر خير من ألف شهر فيعني أن إحياءها بالعبادة أفضل عند الله تعالى من عبادة ألف شهر، وهي مدة تعدل ثلاثاً وثمانين سنةً وبضعة أشهر ليس فيها ليلة القدر، لماذا؟ لأن الإنسان يمكنه أن يحبس نفسه مع الطاعة ليلةً واحدةً من دون أن يتلبس بالمعصية مع ملازمته الخشوع أيضاً، بخلاف ثلاث وثمانين سنةً فإن المتعبّد فيها مهما اجتهد في العبادة فلا بد أن يقع في المعاصي؛ لأنه ليس بمعصوم، والمدة طويلة جداً، وكذلك لا بد أن تعترضه الشواغل من أكلٍ وشرب ونوم ومرض ونحوها، بخلاف ما عليه الحال في ليلة القدر غالباً.

وبعد نزول القرآن جملةً واحدةً أخذ جبريل ينزله تنزيلاً آخر، تنزيلاً على قلب نبينا محمد ﷺ في زمن نبوته مفرقاً آيةً آيةً، وسورةً سورةً، وكان ابتداء هذا النزول في شهر رمضان أيضاً.

فالقرآن الكريم إذن - نزل في رمضان جملةً واحدةً، وفيه أيضاً ابتدئ نزوله مفرقاً، فأكرم بشهر أنزل الله فيه كتابه العظيم هدىً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا من جملة الأسباب - وقد يكون أهمها - التي بورك لأجلها رمضان، وإلا فالزمان لا يبارك لذاته - كالمكان تماماً -، وإنما يبارك بطاعات تؤدّى فيه، ونفحات إلهية تنزل فيه .

كيف لا يفرح المسلمون ويستبشرون بقدوم رمضان والنافلة فيه لها ثواب الفريضة؛ فضلاً من الله الكريم، ومضاعفةً منه لأجر الصائمين؟! يقول النبي ﷺ لامرأة من الأنصار: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَأَعْتَمِرِي؛ فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً». أخرجه مسلم^(١).

والعمره - على ما عليه فريق من الفقهاء - هي من نوافل الأعمال، والفقهاء متفقون على أنها ليست بواجبة إذا كانت الثانية فصاعداً، والحديث - كما هو ظاهر - لم يُقيدها بالأولى، فثبت به أن العمره النافلة في رمضان لها أجر الحجة الفريضة، وعليه تقاس بقية النوافل من صلاة أو صدقة أو صوم، فما من نافلة تؤديها - أخي الصائم، أختي الصائمة! - في رمضان إلا ولك أجر فريضتها بكرم الله ﷻ ومنه، وهذا - بلا ريب - أجر عظيم، وخير عظيم؛ لأن أداء الفرائض أحب إلى الله تعالى من أداء النوافل، ففي الحديث القدسي: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ...». أخرجه البخاري^(٢). ومنه يُعلم سبب تنافس المسلمين في أداء النوافل في شهر رمضان المبارك.

أما التهنة بقدوم رمضان وصومه، فهو أمر حسن طيب، يُستدل عليه بقوله ﷺ في الحديث السابق: «شَهْرٌ مُبَارَكٌ»؛ فلا بأس - إذن - أن يهنئ المسلمون بعضهم بعضاً قائلين: شهر مبارك!، ونسمع في أيامنا هذه من يقول: كل عام وأنتم بخير. ولا حرج في ذلك - إن شاء الله تعالى - ما دامت نيته الدعاء، وليس الإخبار، وهناك من يقول في تهنته: أعانك الله على الصيام والقيام. وهذا لا بأس فيه أيضاً، والأمر فيه متسع، والله أعلم.

(١) برقم: ١٢٥٦، عن ابن عباس ؓ.

(٢) برقم: ٦٥٠٢.

أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات! (فُرض الصيام بعد صرف القِبلة إلى الكعبة، لعشرٍ في شعبان، بعد الهجرة بسنةٍ ونصف) (١).

وكان (٢) المسلم مخيراً بين الصوم وبين الإفطار مع الفدية، وهي إطعام مسكينٍ عن كل يومٍ أفطر فيه.

ثم فُرض الصيام على التعيين وليس التخيير، وغدا الإفطار لا يكون إلا لأصحاب الأعذار، كالمرضى والمسافرين والشيخوخة - المسنين - الذين لا يقدرّون على الصوم.

وكانت (٣) فترة الإفطار في أول الأمر محصورةً بين غروب الشمس ووقت صلاة العشاء، وفي حق من لم ينم (٤) في تلك الفترة، أما من نام فيها فعليه الإمساك إلى غروب شمس اليوم التالي، أكل قبل النوم، أو لم يأكل.

ثم يَسِّر الله ﷻ على عباده، فوسَّع لهم مدة فطرهم من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، ناموا في ذلك أو لم يناموا. قال الله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَامِ الزَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٧].

أبها الإخوة المستمعون، والأخوات المستمعات، على من يجب الصوم؟.

(١) الحصكفي، الدر المختار، متن رد المحتار لابن عابدين، ج ٢ ص ٣٧٠.

(٢) يُنظر: حديث أبي داود: ٥٠٦، صحيح.

(٣) يُنظر: حديث أبي داود: ٢٣١٣، صحيح.

(٤) يُنظر: حديث أبي داود: ٥٠٦، السابق.

يجب صوم رمضان على كل مسلم بالغ عاقلٍ مقيمٍ قادرٍ، فلا يجب الصوم على المريض بمرضٍ مُزمنٍ، بل يكفيه أن يُطعم مسكيناً مُدّاً^(١) من طعام عن كل يوم أفطر فيه، أما إذا لم يكن مرضه مُزمنًا فيجب عليه القضاء بعد الشفاء، كالمسافر بعد أن يقيم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. والصوم أفضل في حق المسافر الذي لا يُشق عليه الصوم، والفطر أفضل في حق من يُشق عليه الصوم.

وهناك قيدٌ مهم في وجوب الصوم، وهو: انتفاء المانع، والمانع الذي لا يصح معه الصوم هو الحيض والنِّفاس، فالصوم لا يصح من الحائض والنِّفاس وإن كانت عاقلة مقيمة قادرة على الصوم، لقول رسول الله ﷺ في المرأة: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ، لَمْ تُصَلِّ، وَلَمْ تَصُمْ؟!...». أخرجه البخاري^(٢).

✽ والآن - أيها الإخوة الصائمون والأخوات الصائمات! - نقف معاً مع المادة الثانية من مواد مدرسة رمضان، سائلين السميع المجيب أن يُعيننا على النجاح فيها، إنها (صوم البطن والفرج):

أيها الإخوة والأخوات! إنكم لتعلمون تمام العلم أن صوم رمضان فرض من فرائض الإسلام، وركن من أركانه، فما هو الصوم لغةً واصطلاحاً؟.

الصوم في اللغة معناه: الإمساك. ويقال للصمت: صومٌ؛ لأنه إمساك عن الكلام، قال الله تعالى مخبراً عن مريم بنت عمران ﷺ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]. أي سكوتاً عن الكلام، بحيث لو أنها تكلمت لفسد صومها، وهذا النوع من الصوم منسوخ في شريعة الإسلام؛ فالصمت فيها

(١) كيل يتسع لما زنته من الرز: ٧٥٠ / جراماً، والله تعالى أعلم.

(٢) برقم: ٣٠٤.

ليس من القُرْبَات التي يُتَقَرَّبُ بها إلى الله تعالى، قال القرطبي^(١) رحمته الله: كان نذرُ الصمت في تلك الشريعة لا في شريعتنا، واستدل بحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ؛ فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُرُّهُ؛ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيَتِمَّ صَوْمُهُ». أخرجه البخاري^(٢).

فأمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا إسرائيل رضي الله عنه بالكلام أفاد أن الصوم عن الكلام لا يدخل في حيز العبادات، وإن كان مطلوباً - على غير جهة التقرب - في كثير من الأحيان.

لكن الصوم في الاصطلاح الشرعي هو: (إمساكٌ عن المفطرات في وقتٍ مخصوصٍ، من شخصٍ مخصوصٍ، مع النية)^(٣).

والنية لا بد منها في كل عبادة؛ لأنه بها تتميز العبادات عن العادات، ولهذا كان لا بد منها لصحة الصوم، وإلا فكيف يكون الصوم تعبدًا لله وَعَلَيْهِ السَّلَام؟!.

لا كصوم بعض الناس بنية تخفيف الوزن ورشاقة الجسم ليس غير! . وهنا لا بد من لفت الانتباه إلى أنه لا حرج - إن شاء الله تعالى - إذا كانت نية التعبد هي السابقة والغالبة مع وجود نية تخفيف الوزن ونحوها، والله أعلم.

ونية الصوم متى تكون؟ تكون في أول ليلة من رمضان عن الشهر كله، وذلك بعد صوم رمضان عبادةً واحدةً، ومن الفقهاء من اشترطها في كل ليلة من رمضان، وعدوا صوم كل يوم منه عبادةً مستقلة، وهذا هو الأحوط.

ومن الأدلة على وجوب نية الصوم قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يُجْمَعْ الصَّيَامُ

(١) يُنْظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، ج ١١ ص ٩٨.

(٢) برقم: ٦٧٠٤.

(٣) الحصكفي، الدر المختار، متن رد المحتار لابن عابدين، ج ٢ ص ٣٧١.

- وفي رواية: مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصَّيَامَ^(١) - قَبْلَ الْفَجْرِ ، فَلَا صِيَامَ لَهُ . أخرجه أبو داود^(٢) والترمذي والنسائي ، وهو صحيح .

والنية محلها القلب ؛ فلا يُشترط التلفظ بها ، واعلم - أخي الصائم - أن قيامك للسحور نية .

هذا ، والله تعالى أعلم وأحكم ، وسيأتي تمامه في لقاء الغد بإذن الله تعالى ، أسأل الله ﷻ أن يجعله - وسائر اللقاءات - لقاءً مباركاً طيباً ، وخالصاً لوجهه الكريم .

أعاننا الله على الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



(١) النسائي: ٢٣٣١ .

(٢) برقم: ٢٤٥٤ ، والترمذي: ٧٣٠ ، عن أم المؤمنين حفصة بنت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

الحلقة الرابعة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، ويرد نِقمه ، وصلى الله على سيدنا وقُدوتنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! لا زلنا مع المادة الثانية من مواد مدرسة رمضان الخيرة ، وهي بعنوان (صوم البطن والفرج) ، وقد مضى في الحلقة السابقة بعض الكلام فيها .

مستمعي الكرام ! صوم البطن هو الذي يسقط به الفرض ، ولا يطالب من أدائه بالقضاء ، وهو في الحقيقة أهون الصوم ، ولهذا نجد الصغار - سلفاً وخلفاً - يتنافسون فيه ، فعن الربيع بنت مَعُوذٍ رضي الله عنها ، قَالَتْ : «كُنَّا ... نُصَوِّمُ صَبِيَانَنَا الصَّغَارَ ... وَنَصْنَعُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ ... فَإِذَا سَأَلُونَا الطَّعَامَ ، أَعْطَيْنَاهُمُ اللَّعْبَةَ ؛ تُلْهِيَهُمْ ؛ حَتَّى يُتِمُّوا صَوْمَهُمْ» . أخرجه البخاري^(١) . واللعبة من العهن : المتخذة من الصوف .

وليس ببعيد - أيها الآباء ، وأيتها الأمهات ، أيها المربون ! - أن يدخل تصويم الصبيان - ذكوراً وإناثاً - وهم في سن السابعة في جملة التكاليف الشرعية التي

(١) برقم : ١٩٦٠ ، ومسلم : ١١٣٦ ، واللفظ له .

تُسألون عنها يوم القيامة ، فكما أنكم تسألون عن صلاة صبيانكم ، فإنكم ستسألون عن صومهم كذلك ، ففي حديث الرُّبَيْعِ رضي الله عنه ، أمرُ الأولياء صبيانهم بالصيام .

وهذا حديث آخر في أمر الأولاد بالصلاة ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» . أخرجه أبو داود ^(١) ، وهو حسن صحيح .

وصوم البطن - أيها الإخوة والأخوات ! - خير معين على صوم الفرج ، ومن صام بطنه ، ضَعُفَتْ شهوته بلا ريب ، ومن ضعفت شهوته زادت طاعته ، ومن صبر عن الشهوة الحلال نهار رمضان ، فإنه سيصبر - بعون الله تعالى - عن شهوة الحرام سائر العام .

وعن دور الصوم في إجمام شهوة الفرج يقول النبي ﷺ : «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ ، فَلْيَتَزَوَّجْ ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» . والحديث متفق عليه ^(٢) . والوجاء : (رَضُّ الخِصَتَيْنِ ، وقيل : رَضُّ عروقهما ، ومن يفعل به ذلك تنقطع شهوته ، ومقتضاه أن الصوم قَامِعٌ لشهوة النكاح ...) ^(٣) .

أيها الإخوة والأخوات ! إذا كان المسلم يقدر على تصويم بطنه عما أحل الله تعالى من الطيبات ، أفلا يحسن به ، بل ألا يجب عليه أن يصوم عن المحرمات ، وهي المستقذرة بالشرع والطبع ؟!

(١) برقم : ٤٩٥ .

(٢) البخاري : ١٩٠٥ ، ومسلم : ١٤٠٠ ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٤ ص ١١٩ .

فكم عجبي كبيرٌ من هؤلاء الذين يصومون في النهار عن الحلال ، ويُفطرون بعد الغروب على الحرام ، ونُسوا أن الله تعالى بث في الأرض من الرزق الحلال ما يكفي الناس أجمعين ويزيد ، إلى أن تقوم الساعة ! فالله ﷻ يقول : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] . فقلوه تعالى : ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ والذي فيه (من) التبعية أفاد أن الطيبات - أو الرزق الحلال - تُغني عما سواها من المحرمات إلا في بعض الحالات النادرة التي يمكن أن يتعرض فيها إنسان ما إلى مجاعة .

أيها الإخوة والأخوات ! لعل من المفيد أن نقف معاً وقفةً فقهية موجزة مع مفسدات الصوم أو مفطراته ؛ كي يسلم لنا صومنا ، فإن من أهمِّ المهمات أن يني المسلم عبادته على العلم ، فلا خير في عبادة لا علم فيها ، كما روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في سنن الدارمي (١) .

والمفطرات منها ما يتصل بالجوف البطني - أو الجهاز الهضمي - دخولاً كالطعام والشراب ، ومنها ما يتصل به خروجاً كالقيء العمد - ولو بعذرٍ كالمصاب بالتسمم - ، ومن أدلة مفطرات الجوف مفهوم قول الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْإِلِّ ﴾ [البقرة: ١٨٧] . وقول النبي ﷺ : «مَنْ ذَرَعَهُ (٢) الْقَيْءُ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا ، فَلْيَقْضِ» . أخرجه الترمذي (٣) ، وحسنه .

ومن المفطرات ما يتصل بالفرج كالجماح ، والإنزال بشهوة - ومنه

(١) الدارمي: ٣٠٥ ، ضعيف .

(٢) أي: غلبه .

(٣) برقم: ٧٢٠ ، وقال: حسن غريب ، والحاكم: ١٥٥٧ ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

الاستمناء - ، ودليل هذا النوع من المفطرات مفهوم قول الله ﷻ: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ أَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] . والرفث في الآية الكريمة يعني الجماع ، وهو يدخل أيضاً في عموم حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَأَكَلَهُ وَشَرِبَهُ مِنْ أَجْلِي» . أخرجه البخاري ^(١) .
فلا استمناء يُفسد الصوم ؛ لأنه من الشهوة التي يجب الصوم عنها .

ومن مفطرات الفرج أيضاً: الحيض ، والنفاس ، ودليلهما واحد ، وهو قول رسول الله ﷺ في المرأة: «الْيَسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ ، وَلَمْ تَصُمْ ؟!» . وهذا من الاستفهام التقريري ، وجوابه: بلى . والحديث أخرجه البخاري ^(٢) .

وعَدَّ الحنبلي^(٣) - بخلاف الجمهور - الحجامة من مفسدات الصوم ؛ أخذاً بحديث النبي ﷺ: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ» . أخرجه الترمذي ^(٤) ، وقال: حسن صحيح . وهو عند الجمهور حديث منسوخ بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْقُبْلَةِ لِلصَّائِمِ ، وَالْحِجَامَةِ لِلصَّائِمِ» ^(٥) . أخرجه ابن خزيمة ، وهو صحيح . وبحديث ثابت البناني: قَالَ: «سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَكُنْتُمْ تَكْرَهُونَ الْحِجَامَةَ لِلصَّائِمِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ: لَا إِلَّا مِنْ أَجْلِ الضَّعْفِ» . أخرجه البخاري ^(٦) .

(١) برقم: ٧٤٩٢ .

(٢) برقم: ٣٠٤ .

(٣) يُنْظَرُ: ابن قدامة ، المغني ، ج ٣ ص ١٢٠ و ١٢١ .

(٤) برقم: ٧٧٤ ، عن رافع بن خديج رضي الله عنه .

(٥) برقم: ١٩٦٧ .

(٦) برقم: ١٩٤٠ .

ويعود سبب ضعف المحجوم إلى خروج دمه بفعل الحجامه ، وحكم الحجامه - كما صرح به الحديث الشريف - لا يعدو الكراهة التي لا يفسد بها الصوم ، ولا شك أن تأخير الحجامه إلى ما بعد الغروب هو الأحوط من الناحية الشرعية والطبية أيضاً .

أما الرخصة في قبلة الصائم لزوجته فهي للرجل المُسنِّ مباحة ، وهي مكروهة للشاب خشيةً عليه من أن يقع بعدها في الجماع ؛ فيفسد به صومه ؛ فالشيخ أملك لشهوته من الشاب ، وقد جاء في هذا حديث شريف ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه : « أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ لِلصَّائِمِ ، فَرَخَّصَ لَهُ ، وَأَتَاهُ آخَرُ فَسَأَلَهُ ، فَنَهَاهُ ؛ فَإِذَا الَّذِي رَخَّصَ لَهُ شَيْخٌ ، وَالَّذِي نَهَاهُ شَابٌّ » . أخرجه أبو داود^(١) ، والبيهقي ، وإسناد البيهقي صحيح . والمباشرة : وضع البشرة على البشرة ، كالثبلة ونحوها .

أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! يبدأ حد الإفطار في الجوف البطني من الحلق ، ولهذا الجوف منفذان طبيعيان أو أصليان هما : الفم والأنف .

لكن أكثر الفقهاء عدوا الدماغ جوفاً آخر ، وألحقوا أحكامه بأحكام الجوف البطني ، وعلل ذلك بعض الفقهاء^(٢) ؛ بأن بين الدماغ والجوف منفذاً ، فما وصل إلى الدماغ ، وصل إلى الجوف ، وعدوا الأذن المنفذ الأصلي للجوف الدماغي ، وقد نجد بين الأطباء من يخالفهم في ذلك من الوجهة الطبية ، والله أعلم .

(١) أبو داود : ٢٣٨٧ ، والبيهقي : ٨٠٨٤ . قال عبد القادر الأرناؤوط - جامع الأصول في أحاديث الرسول : ج ٦ ص ٣٠١ - تعليقا على حديث أبي داود : في إسناده أبو العنبر ، واسمه عبد الله بن صهبان الأسدي ، وهو لين الحديث ... ثم نقل عن الزرقاني قول ابن عبد البر : وروى البيهقي بإسناد صحيح ، عن عائشة أنه ﷺ « رَخَّصَ فِي الْقُبْلَةِ لِلشَّيْخِ وَهُوَ صَائِمٌ ، وَنَهَى عَنْهَا الشَّابَّ ، وَقَالَ : الشَّيْخُ يَمْلِكُ إِرْبَهُ ، وَالشَّابُّ يُفْسِدُ صَوْمَهُ » .

(٢) يُنظَر : الكاساني ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ج ٢ ص ٩٣ .

ومن الفقهاء^(١) - وهم الشافعية - من اشترط كون دخول ما يُفطر عبر منفذ مفتوح إلى الجوف ، سواء كان المنفذ أصلياً: كالفم والأذن ، أو طارئاً: كالجرح النافذ أو المفتوح إلى المَعِدَة أو الأمعاء ، ويسميه الفقهاء الجائفة ، أو كالجرح النافذ إلى الدماغ ، ويسمونه المأمومة .

ومن الأسئلة التي يكثر السؤال عنها في رمضان:

ما أثر نقل الدم في الصوم؟ .

وما حكم الصائم إذا كانت بيده لقمة أو في فمه وإذا بالمؤذن ينادي لصلاة الفجر ، هل له أن يتابع الأكل ما دام المؤذن في أذانه ، أم عليه أن يَلْفِظ اللقمة ويمسك؟ .

وهل يفسد صوم من أكل أو شرب بعد طلوع الفجر خطأً أو نسياناً؟ .

هذا ما سوف أجيب عنه في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى وتوفيقه ، وإلى أن يحين ذلك أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله على محمد عبد الله ورسوله ، وعلى آله وصحبه ، وسلّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



(١) يُنظر: الشربيني ، مغني المحتاج ، ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ .

الحلقة الخامسة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ؛ إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا
ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم
الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! توقفنا في الحلقة
السابقة عند أسئلة ثلاث ، وهي :
- ما أثر نقل الدم في الصوم ؟ .

- وما حكم الصائم إذا كانت بيده لقمة أو في فمه وإذا بالمؤذن ينادي لصلاة
الفجر ، هل له أن يتابع الأكل ما دام المؤذن في أذانه ، أم عليه أن يلفظ اللقمة
ويمسك ؟ .

- وهل يفسد صوم من أكل أو شرب بعد طلوع الفجر خطأً أو نسياناً ؟ .

✽ أما السؤال الأول فبناءً على ما تقدم في الحلقة السابقة أجيب عنه مستعيناً
بالله تعالى ، فأقول :

المتبرع أو المتنازل بالدم لا يفسد صومه ؛ لأن الدم خرج من بدنه ، ولم
يدخل إليه ، والأصل في مفطرات البطن أن تكون مبنيةً على ما دخل فيها ، وليس

على ما خرج منها ، يقول حَبْرُ الأَمة عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنه : «الفِطْرُ مما دَخَلَ»^(١).

ولكن هل يعطى المتبرع بالدم حُكْمَ الحِجَامَةِ التي عدها الحنبلية من مفسدات الصوم^(٢) ، وحجتهم في ذلك حديث : «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَخْجُومُ» ؟ .
أخرجه الترمذي ، وهو صحيح . أم أنه يعطى حُكْمَ الْفَصْدِ ؟ والفصد : دم يستخرج من وريد المريض بقصد العلاج ، وهو عند الحنبلية^(٣) لا يُفْسِدُ الصوم ؛ لأنه لا نص فيه .

والجواب : إن التنازل بالدم أشبه بالفصد منه بالحجامة ، فالقول بعدم فساد صوم المتنازل - أو المتبرع - بدمه هو الأقرب إلى المذهب الحنبلي ، والله أعلم ، وبهذا تكون المذاهب الفقهية الأربعة - في نظري - متفقةً على أن المتبرع بالدم لا يفسد صومه ، والله أعلم .

أما أخذ الدم ، فهل يُفطر بدخول الدم وريده ؛ طالما كانت العبرة في الإفطار الدخول ؟ .

فَصَّلْ^(٤) الحنفية في ذلك ؛ فذكروا أن الإفطار إما أن يكون صورةً ، وإما أن يكون معنىً ، فصورة الإفطار : (الابتلاع) . ومعناه أو حقيقته : (وصول ما فيه صلاح البدن إلى الجوف) .

وهذا يعني أن كل ما يصل إلى الجوف عن طريق الفم هو مُفْطِر . أما ما يصل

(١) البيهقي : ٥٦٧ ، وقال : وروي عن النبي ﷺ ، ولا يثبت .

(٢) يُنْظَرُ : ابن قدامة ، المغني ، ج ٣ ص ١٢٠ و ١٢١ .

(٣) ومما عندهم : لا فطر بفصدٍ وشرط [شق الجلد بالمشروط] ولا بإخراج دمه برعاف ؛ لأنه لا نص فيه ، والقياس لا يقتضيه . البهوتي ، كشف القناع عن متن الإقناع ، ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٤) يُنْظَرُ : المرغيناني ، الهداية على البداية : متن فتح القدير لابن الهمام ، ج ٢ ص ٣٣٥ ، ٣٤٢ و ٣٤٣ .

إلى الجوف من غير طريق الفم، فلا يُفطر إلا إذا كان غذاءً أو دواءً، أي: ما فيه صلاح البدن، فهم يقولون: ولو أقطر في أذنه الماء، أو دخله لا يفسد صومه؛ لانعدام المعنى والصورة، أي لعدم وجود الغذاء والابتلاع، بخلاف ما إذا دخله الدهن [أي: الدواء]؛ فيُفطر لصلاح البدن به. ولو داوى بدواءً جائفةً - وهي جرح يصل إلى المعدة -، أو داوى أمةً - وهي جرح يصل إلى الدماغ -، فوصل إلى جوفه أو دماغه، أفطر.

لكن في المذهب - أعني مذهب الحنفية - اتجاه آخر في معنى الإفطار، وليس في صورته التي هي الابتلاع، وخلاصة^(١) هذا الاتجاه: أن ما وصل إلى الجوف إذا كان بفعل الصائم فإنه يفسد الصوم مطلقاً، ولو لم يكن فيه صلاح البدن، أما إذا لم يكن الإدخال بفعله، فإنه يُنظر: إذا كان الداخل فيه صلاح البدن أفطر، وإلا فلا يُفطر.

ويلخص ابن عابدين رحمته الله موقف أئمة المذهب الحنفي من هذين الاتجاهين في معنى الإفطار، وليس في صورته، وذلك من خلال منفذ الأذن؛ فيقول: (الاتفاق على الفطر بصب الدهن [وهو الدواء]، وعلى عدمه بدخول الماء، واختلاف التصحيح في إدخاله)^(٢).

وتيسيراً لمدلول هذه العبارة أقول:

وصول الدواء من منفذ مفتوح إلى الجوف - الهضمي أو الدماغي - يُفطر مطلقاً.

(١) يُنظر: ابن الهمام، فتح القدير، ج ٢ ص ٣٤٢ و ٣٤٣.

(٢) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ج ٢ ص ٣٩٦.

ووصول الماء تلقائياً من غير تعمّدٍ إلى الجوف من منفذ مفتوح - غير الفم^(١) -
لا يُفطر، أما وصول الماء بفعل الصائم أو غيره ففيه خلاف في إثبات صحيح
المذهب، فمن فقهاء الحنفية من قال: الصحيح أنه يفطر، ومنهم من قال: بل
الصحيح أنه لا يُفطر.

والاتجاه الأول - وأعني به أن كل ما يصل إلى الجوف من غير طريق الفم^(٢)
فلا يُفطر إلا إذا كان غذاءً أو دواءً - هو الأكثر وضوحاً ووقوعاً فيما أحسب، وإلا
فكيف يُتصوّر من الصائم أن يدخل جوفه - من غير طريق الفم - ما فيه صلاح
بدنه، فيفسد صومه بغير فعله ولا علمه، إلا أن يكون نائماً - وهو ما تصوره حقاً -،
وما ذنب النائم حتى نحكم بفساد صومه؟!.

وذكر الحنبلية أن كل ما يدخل الجوف مفطراً، ولا عبرة في كون الدخول من
منفذ مفتوح، أو غير مفتوح، ومثلوا لذلك بقولهم: (لا يعتبر في الواصل [إلى
الجوف] أن يكون من منفذٍ بدليل ما لو جرح نفسه جائفةً، فإنه يفطر)^(٣). وجاء
فساد صومه من بلوغ رأس الآلة الجارحة جوف الصائم.

وعند المالكية (كل ما وصل للمعدة إن كان من منفذ عالٍ فهو مفسد للصوم
سواءً كان مائعاً، أو غير مائع. وإن كان من منفذٍ سافلٍ، فلا يفسد إلا إذا كان
مائعاً)^(٤).

أما الشافعية فقد تقدم قولهم بأن كل ما يدخل الجوف عبر منفذ مفتوح

(١) في التسجيل الإذاعي: أي: من غير (الفم والأنف). والصواب حذف كلمة "الأنف"؛ لأنه لا تأتي
منه صورة الإفطار، وإنما يأتي منه معناه، على ما عليه المذهب الحنفي.

(٢) في التسجيل الإذاعي زيادة: والأنف، والصواب حذفها، والله تعالى أعلم.

(٣) ابن قدامة، المغني، ج ٣ ص ١٢٢.

(٤) الدسوقي، حاشية الدسوقي، ج ١ ص ٥٢٣.

– أصليًّا كان أو طارئًا – فإنه مفسد للصوم .

وبناءً على تلك الأقوال ، فالراجح عندي – والله أعلم – أن آخذ الدم عبر الوريد صومُه باقٍ ، لم يطرأ عليه ما يُفسده ، وذلك للمسوغات التالية :

١ – لا يُفطر عند الحنفية ؛ لأن إدخال الدم سحبًا من وريد المُعطي إلى وريد الآخذ لم تحُصَل فيه صورة الإفطار ولا معناه ، إذ ليس في ذلك ابتلاع للدم ، كما أن الدم المسحوب ليس دواءً في ذاته ؛ لأن المريض لو تناوله عن طريق الفم ، لضرَّه ذلك ، كما أنه ليس غذاءً في ذاته ؛ لأنه يُسحب من الأوردة التي تختص بنقل الدم المحمَّل بالفضلات – السائلة والغازية – والتي سيصار إلى تنقيتها من جديد في جسم المريض المنقول إليه الدم .

وعليه فإنه لم يحصل عنده إفطار ، لا في الصورة ولا في المعنى ، وهذا على الاتجاه الأول عندهم ، أما على الاتجاه الثاني فكذلك لا يُفطر ، وجوابه داخل في الفقرة التالية .

٢ – لا يفطر عند المالكية والحنبلية ؛ لأن الدم بنقله لا يدخل جوف المعدة حقيقة – كيف وإن تجمَّعه فيها يؤذِن بالخطر؟! – ، ولكنه يمر محصورًا بجُدُرانها وأغشيتها أسوةً بسائر أجزاء البدن ، ومنها: الدماغ الذي عده الفقهاء جوفًا .

٣ – لا يفطر عند الشافعية لاشتراطهم في فساد الصوم ، وصول الشيء إلى الجوف عبر منفذ مفتوح ، وأما عمليات نقل الدم فإنها لا تعتمد على المنافذ المفتوحة إلى الجوف – المعدة أو الدماغ – أصلاً .

ولكنَّ الأحوط في الدين تأخيرُ عمليات نقل الدم – ما لم تدعُ إليه الحاجة – إلى ما بعد وقت الإفطار ؛ لما قد ينشأ عنه من ضَعْفٍ في المتنازِل به ، وللخروج

من خلاف القائلين بفساد الصوم في بعض حالات نقل الدم .

✽ وأما سؤال: ما حكم الصائم إذا كانت بيده لقمة - أو في فمه - ، وإذا بالمؤذن ينادي لصلاة الفجر ، فهل له أن يتابع الأكل ما دام المؤذن في أذانه ، أم عليه أن يلفظ اللقمة ويُمْسِك ؟ .

أقول: الذي أثار هذا السؤال حديث شريف أخرجه الإمام أحمد^(١) ، وهو حسن صحيح ، وهو: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ النَّدَاءَ وَالْإِنَاءَ عَلَى يَدِهِ ، فَلَا يَضَعُهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهُ» . أي: من الأكل والشرب . وفي رواية عند أحمد^(٢) - بإسناد صحيح - هذه الزيادة: «وَكَانَ الْمُؤَذِّنُ يُؤَذِّنُ إِذَا بَرَعَ الْفَجْرُ» .

استدل به بعض العلماء على أن من طلع عليه الفجر وإناء الطعام أو الشراب على يده ؛ أنه يجوز له ألا يضعه حتى يأخذ حاجته منه ، فهذه الصورة - عندهم - مُستثناة من هذه الآية الكريمة: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

وذكر^(٣) ابن قيم الجوزية أن الجمهور ذهبوا إلى امتناع السحور بطلوع الفجر ، وهو قول الأئمة الأربعة ، وعامة فقهاء الأمصار ، واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ بِلَالاً يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ... وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى لَا يُنَادِي حَتَّى يُقَالَ لَهُ: أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ» . أخرجه البخاري^(٤) .

(١) برقم: ١٠٦٢٩ ، ١٠٦٣٠ ، وأبو داود: ٢٣٥٠ .

(٢) برقم: ١٠٦٣٠ .

(٣) يُنظر: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (حاشية ابن القيم على سنن أبي داود) ،

مطبوع مع: آبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ج ٦ ص ٣٤١ .

(٤) برقم: ٦١٧ ، عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وحملوا حديث أبي هريرة رضي الله عنه إما على أنه في وقت الأذان الأول ، وهو أذان بلال رضي الله عنه ، وكان قبل الفجر ، وإما في حق من ظن عدم طلوع الفجر ، أو شك في طلوعه ، مثل أن تكون السماء مُتَغَيِّمَةً ، إلى ما هنالك من احتمالات أخرى في مدلولات الحديث .

والمتمل في أدلة هذه المسألة يرى أن الصحيح ما ذهب إليه الجمهور ، والآية الكريمة صريحة بذكر الفجر وقتاً لترك الطعام والشراب ، وهو الأحوط في أداء عبادة الصوم على الوجه المشروع ، والله أعلم .

* وأما السؤال الثالث ، وهو : هل يفسد صوم من أكل أو شرب بعد طلوع الفجر خطأً أو نسياناً ؟ فأرجئ الإجابة عنه إلى الحلقة القادمة بإذن الله تعالى ، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله على محمد عبد الله ورسوله ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة السادسة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد ،
وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هديه ، ونصر سنته إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا
ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم
الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته ، أبدأ لقائي معكم اليوم مستعيناً بالله ﷻ بجوابٍ عن سؤالٍ
توقفنا عنده في الحلقة السابقة ، وهو : هل يفسد صوم من أكل أو شرب بعد طلوع
الفجر خطأً أو نسياناً ؟ .

مستمعيّ الأعزاء ! من أكل أو شرب وهو يظن غروب الشمس ، فتبين له بقاء
النهار ، أو كان يظن بقاء الليل فتبين له طلوعُ الفجر ، فهذا ليس عليه إثمٌ بالخطأ ؛
لقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ﴾ [الأحزاب : هـ] . ولكن عليه
القضاء عند أكثر الفقهاء ؛ لأن الآية الكريمة نصت على رفع الجُنَاح - وهو الإثم -
عن المخطئ ، ولم تنصّ على رفع القضاء ، ومن هذه الآية الكريمة - وغيرها من
الأدلة - استنبط الفقهاء قاعدةً تقول : لا عبرة بالظن البينِ خطؤه . أي : الذي يظهر
خطؤه ، كما هو حال الصائم المخطئ في إفطاره .

وأما من أكل أو شرب وهو ناسٍ أنه صائم فإنه لا يُفطر ، وصومه صحيح ،
ولكن عليه أن يكفّ عن طعامه أو شرابه متى ذكر أنه صائم ، ولو أنه ذكر وبعض

الطعام في فمه ، فعليه أن يَلْفِظَه ، ولا يبتلعه ، وذلك لقول النبي ﷺ : «مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهُوَ صَائِمٌ ، فَلَيْتَمَ صَوْمُهُ ؛ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ ، وَسَقَاهُ» . أخرجه البخاري (١) .

وهكذا كان التخفيف في النسيان أكبر مما هو عليه في الخطأ ، لماذا ؟ لأن الخطأ يمكن التحرز منه والاحتياط له ، بخلاف النسيان .

❁ والآن - أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! - نقف معاً مع المادة الثالثة من موادّ مدرسة رمضان المبارك ، ألا وهي : (صوم اللسان والجوارح) :

أيها الإخوة الصائمون والأخوات الصائمات ! اللسان بخلقته صغير الحجم ، لكنه عظيم الأثر ، إن في الخير ، أو في الشر ، فكم من كلمة خبيثة لأجلها زُهِقَت أرواح ، وانتهكت أعراض ، وسُلبت أموال ، ونشبت حروب ! ولذلك قال الحكماء : لسانك حصانك ، إن صُنِّتَ صانك ، وإن خُنِّتَ خانك . وقالوا : المرء بأصغريه : لسانه وقلبه . وصدق من قال :

(ألم تر مفتاحَ الفؤاد لسانهُ ❁ إذا هو أبدى ما يقول من الفم
لِسَانُ الْفَتَى نَصْفٌ وَنَصْفُ فَوَادِهِ ❁ فلم يبقَ إلَّا صورةُ اللحمِ والدمِ) (٢) .

وقال الشاعر :

(لسان الفتى حتفُ الفتى حين يجهلُ ❁ وكلُّ امرئٍ ما بين فكَّيه مُقْتَلُ
إذا ما لسان المرء أكثرَ هَذَرَةٍ (٣) ❁ فذاك لسان بالبلاء موَكَّل
وكم فاتح أبوابٍ شرٍّ لنفسه ❁ إذا لم يكن قُفْلٌ على فيه مُقْفَل

(١) برقم : ٦٦٦٩ .

(٢) المعافى بن زكريا ، المجلس الصالح والأنيس الناصح ، ص ١٥٤ .

(٣) الكلام الرديء .

كذا من رمى يوماً شرارات لفظه ❀ تلقته نيرانُ الجواباتِ تَشَعَلْ
ومن لم يُقيّد لفظه متجملاً ❀ سيُطلق فيه كلُّ ما ليس يَجْمَلْ
ومن لم يكن فيه ماءُ صيانةٍ ❀ فمن وجهه غُصْنُ المهابةِ يَذْبُلْ^(١).
(إذا شئتَ أن تحيا سعيداً مسلماً ❀ فدبّر وميّز ما تقول وتفعل)^(٢).

وقال أحدهم:

(عوّد لسانك قولَ الصّدق تحظّ به ❀ إنَّ اللسان لما عَوّدتَ معتاد)^(٣).

وقال أحدهم:

(خُلِق اللسان لِنُطقه وكلامه ❀ لا للسكوت وذاك حظ الأخرسِ
فإذا نطقت فكن مجيئاً سائلاً ❀ إنَّ الكلام يُزيّن ربَّ المجلس)^(٤).

أي كن مجيئاً بعلم تعلمه ، أو سائلاً عن علم تجهله .

وللسان في الشرع أهمية قصوى ، فمنه وحده يأتي ثلث عمل العبد ؛ لأن
الأعمال التكليفية أقسامها ثلاثة : اعتقادية ومحلها القلب ، وعملية ومحلها جوارح
الإنسان أو أعضاؤه ، وقولية يؤديها اللسان بمفرده ، قال الله تعالى : ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ
إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] . فالملك الرقيب العتيد لا يدع من أقوال الإنسان قولاً
إلا قيّده : أجراً له ، أو وزراً عليه .

ولهذا كله أوصى النبي ﷺ كلَّ مسلم ومسلمة بأن يتكلم بالحق والصواب ،

(١) التَّنُوخِي ، نِشْوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٧ ص ١٠٣ .

(٢) ابن عبد البرّ ، بهجة المجالس وأنس المجالس ، ج ١ ص ٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٨٧ .

(٤) الوطواط ، غرر الخصائص الواضحة ، ص ١٨٥ .

فإن عَجَزَ عن ذلك ، فلا يتكلم بالباطل مهما عَظُمَتِ المغريات والتحديات ، فهو ﷺ يقول : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا ، أَوْ لِيَصْمُتْ» . أخرجه البخاري (١) .

واصغ - أخي المستمع ، أختي المستمعة! - إلى هذا الحديث الشريف ، وهو يبين موقع اللسان بين سائر أعضاء الجسد ؛ فعن سعيد بن جبيرة ، عن أبي سعيد الخدري ، رفعه [أي : إلى النبي ﷺ] ، قال : إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ ، فَتَقُولُ : اتَّقِ اللَّهَ فِينَا ؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ ، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا ، وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا (٢) .

قال المباركفوري في كتابه (تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي) (٣) : «تُكْفِّرُ اللِّسَانَ» أي تتذلل وتتواضع له ... قال في النهاية (٤) : التكفير هو أن ينحني الإنسان ، ويطأ طي رأسه قريباً من الركوع ، كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه ... قال الطيبي : فإن قلت : كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ : «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» ؟ أخرجه البخاري (٥) . قلت : اللسان ترجمان القلب ، وخليفته في ظاهر البدن ، فإذا أسند إليه الأمر ، يكون على سبيل المجاز في الحكم ، كما في قولك : شفى الطبيب المريض) . مع أن الشافي بحق هو الله ﷻ .

وفي بيان أثر اللسان في تقرير مصير الإنسان يوم القيامة يقول النبي ﷺ :

(١) برقم : ٦٠١٩ ، عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه .

(٢) الترمذي : ٢٤٠٧ ، وأحمد : ١١٩٠٨ ، حسن .

(٣) ج ٧ ص ٧٤ و ٧٥ .

(٤) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٤ ص ١٨٨ .

(٥) برقم : ٥٢ ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» .
أخرجه البخاري (١) .

ويقول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ ، وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ . ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ، قَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا . فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» . أخرجه الترمذي (٢) ، وقال : حسن صحيح .

وإليكم - مستمعي الكرام ! - هذين النموذجين مما كان عليه سلفنا الصالح من مراقبة للسان ، وتحفظ عند الكلام :

فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن «عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَهُوَ يَجْبِذُ لِسَانَهُ [أي : يشده] فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَهْ (٣) ، غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ» . [أي : المهالك] ، والخبر أخرجه مالك (٤) ، وهو صحيح ، وزاد عليه البيهقي في شعب الإيمان (٥) بسند صحيح : إن رسول الله ﷺ قال :

(١) برقم : ٦٤٧٨ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) برقم : ٢٦١٦ .

(٣) كُفَّ وَاثْنَهُ .

(٤) الموطأ ، ج ٢ ص ٩٨٨ .

(٥) برقم : ٤٥٩٦ .

«لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو ذَرْبَ اللِّسَانِ عَلَى حَدِّتِهِ». وَذَرْبُ اللِّسَانِ: فِسادُه وَبِذَاؤُه.

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ [شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ [بْنِ مَسْعُودٍ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّهُ ارْتَقَى الصَّفَا، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمُ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ». أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ ^(١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

لماذا أكثر الخطايا في اللسان؟ لسهولة وسرعة حركته، وصعوبة ضبطه والسيطرة عليه، فحركته لا تُكَلِّفُ الإنسانُ جُهدًا ولا وقتًا، وهو بذلك يحتاج إلى مزيد من الضبط والحراسة، والله - جَلَّتْ حُكْمَتُهُ - جعله وراء بوابتين: بوابة الشفتين، وبوابة الفكّين، وهذا مما يُعين الإنسان عليه.

بل إنك تجد في أعراب سلفنا - والأعراب قوم سكنوا البادية؛ فقلّ فيهم العلم، وأصابهم شيءٌ من جفائها - إنك لتجد في هؤلاء الحريص كل الحرص على ضبط لسانه، وصون كلامه، ومن هؤلاء - على سبيل المثال - أعرابيٌّ (كان... يجالس الشعبيّ، يطيل الصمت؛ فقال له يومًا: لم لا تتكلم؟ فقال: أسمع لأعلم، وأسكت فأسلم!) ^(٢).

والصائم بتركه الطعام والشراب يعتريه شيء من الضعف؛ يجعله هادئًا أمام مشيرات الغضب، كما يجعله أقدر على ضبط لسانه وصون كلامه عن البذاءات، فمن لم يضبط لسانه صائمًا، لن يضبطه مُفطرًا! فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال

(١) ج ١٠ ص ١٩٧، برقم: ١٠٤٤٦. قال المنذري: رواه رواة الصحيح... الترغيب والترهيب، ج ٣

ص ٣٤٢.

(٢) الوُشَاء، المَوْشَى، ص ٧.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ ، وَلَا يَصْحَبْ ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ - أَوْ قَاتَلَهُ - ، فَلْيُقِلْ : إِنِّي أَمْرُؤُ صَائِمٌ». أخرجه البخاري^(١). فعن ماذا هو صائم؟ عن الطعام والشراب؟ فخصمه لم يقدم له طعاماً ولا شراباً، ولكن قدم له شتماً وسباً وصراخاً، فقول الصائم لشاتمه - أو في نفسه حسب الحال -: «إِنِّي أَمْرُؤُ صَائِمٌ» يعني أنه صوم لسانه عن الكلام الفاحش، وهو موقف جميل غالباً ما يحمل الخصم على الكف حياءً من صاحبه، وإشفافاً على ثواب صومه.

ولما للسان من أثر عظيم على الصيام - في الخير والشر - ، فقد دعا النبي ﷺ دعوةً تنطوي على جانب عظيم من التوعد والتحذير إلى تصويم اللسان عن كل ما فيه باطل أو زور، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ ، وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». أخرجه البخاري^(٢).

فأجر الصيام مرهون بحفظ اللسان من السيئات - كالكذب والغيبة والنميمة - ، والصائم الذي لا يحفظ لسانه مثله كمثل الذي يضع نقوده في جيبٍ مثقوب، أو كالذي يصبُّ الماء في إناءٍ لا قعر له! فترك الصائم الأكل والشرب ليست هي الغاية المقصودة من صومه، وإنما هي وسيلة مُعينة على تصويم الجوارح، وتقويم السلوك، وتهذيب النفس.

هذا والله تعالى أعلم، ولنا وقفة أخرى مع هذا الحديث الشريف؛ لنستدل به وبغيره على وجوب تصويم الجوارح، وذلك في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى، الذي لا تضيع ودائعه، وتقبل الله منا

(١) برقم: ١٩٠٤.

(٢) برقم: ١٩٠٣.

الصيام والقيام، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار، وصلى الله على محمد
عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب
العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الحلقة السابعة

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين !.

وبعد ، فيا أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ! تقدم الكلام في الحلقة الماضية عن صوم اللسان ، واليوم نتناول بالبحث صوم الجوارح بإذن الله تعالى وتأييده ، وكنا - في الحلقة السابقة - قد دللنا على وجوب تصويم اللسان بحديث شريف يصلح دليلاً على تصويم الجوارح أيضاً ، وهو : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ ، وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» . أخرجه البخاري ^(١) .

فقوله ﷺ : «وَالْعَمَلَ بِهِ» - أي بقول الزور - فيه دعوة أخرى إلى تصويم سائر الجوارح عن المعاصي فضلاً عن اللسان ، فعلى الصائم إن أساء في لسانه ألا يُترجم ذلك إلى أفعال مَشِينَةٍ ؛ بأن يحوّل قبيح قوله إلى أفعال قبيحة تؤديها الجوارح الأخرى ، وحينئذٍ يجتمع عنده قُبْحَان : قُبْحُ الكلام ، وقبح الفعل ، ولم يبق له من صيامه ثواب ، اللهم ، إلا العناء والمشقة ، ويكون بذلك قد أدى

الفريضة، ولكنه حُرْمُ أَجْرَهَا، وهو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: «فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»، وفيه (كناية عن عدم القبول، وإلا فلا حاجة لله تعالى إلى عبادة أحد)^(١).

ومن الجوارح - مستمعي الأفاضل! - التي أمرنا بتصويمها العين، كيف؟ بأن نغضَّ أبصارنا عما حرم الله تعالى، وهذا مستنبط من قول رسول الله: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ». والحديث متفق عليه^(٢). فالصوم جاء بديلاً صالحاً عن الزواج في غرض البصر، وتحصين الفرج.

ومما تقدم يُعلم علماً ضرورياً أن تصويم اللسان وسائر الجوارح - من سمع وبصر ويد ورجل، إلى ما هنالك - أمرٌ مهم ومقصود في شهر الصوم، ومادة مهمة جداً في مدرسة رمضان المباركة، وفق الله ﷻ الصائمين للنجاح فيها، كي يعتادوا على ضبط اللسان والجوارح إلى رمضان آخر، وبذلك تدوم عملية ضبط العُمر كله بإذن الله تعالى وتوفيقه.

❁ أيها الإخوة الصائمون، والأخوات الصائمات! تعالوا نتصفَّح معاً المادة الرابعة من مقررات مدرسة رمضان المبارك، إنها مادة: (التوازن النفسي مع النعمة وجوداً وعدمًا)، أجل، التوازن النفسي مع النعمة وجوداً وعدمًا:

(١) السندي، شرح سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٥١٧.

(٢) تقدم تخريج الحديث ومعنى الوجاء في الحلقة الرابعة. وفي تصويم الجوارح يقول الصحابي جابر ابن عبد الله ؓ: «إِذَا صُمْتَ، فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصْرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكُذْبِ وَالْمَائِمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صِيَامِكَ سَوَاءً». ابن أبي شيبة: ٨٨٨٠.

وهذه المادة تريد منك - أخي الصائم ، وأختي الصائمة! - باختصار شديد: أن تشكر النعمة موجودةً ، وأن تصبر عليها مفقودةً ، كما جاء في قول رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». أخرجه مسلم^(١).

والدليل على دخول هذا المادة في مقررات مدرسة رمضان ما أخرجه الإمام مسلم^(٢) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟»^(٣)! فَقُلْنَا: لَا! قَالَ: فَإِنِّي إِذْنٌ صَائِمٌ...».

فالنبي ﷺ إذا لم يجد الطعام في غير رمضان تذكّر أنه كان يصبر على ترك الطعام نهاراً كاملاً في رمضان ، إذن فليكن هذا اليوم مثل ذاك ، ولم يكتف النبي ﷺ بالصبر على فقد الطعام ، بل أخذ نفسه إلى ما هو أعزُّ وأطيب ، فصومها ، واستبدل الحرمان بالعبادة ، فقال: «إِنِّي صَائِمٌ!». وفي هذا عزاءٌ للنفس وتسليّةٌ ما بعدهما عزاءٌ ولا تسليّة ، فالصوم - إذن - خير معين ، وخير مثبت للمسلم أمام قسوة الجوع ومرارة الحرمان ، وهو عين الصبر على النعمة مفقودةً.

وإنني لأتساءل معكم - مستمعي الكرام! -: هل مر بواحدٍ منا ذاك اليوم من أيام رسول الله ﷺ ؟ وإذا مرّ فهل كان موقفه كموقفه ، فقال محتسباً حين لم يجد الطعام: «إِنِّي صَائِمٌ»؟! . اللهم ، اجعلنا على نعمائك من الشاكرين ، وعلى ابتلائك من الصابرين الراضين .

(١) برقم: ٢٩٩٩ ، عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) برقم: ١١٥٤ .

(٣) أي: شيء من الطعام .

ولو أننا وسّعنا من نطاق هذا الافتراض كي نخاطب الأمة بأسرها ، فهل تصبر أمتنا لو أن عدوها حبس عنها لوناً من طعام أو شراب ؛ ليرغمها على التنازل عن بعض مبادئها وثوابتها ، أو على أن تتخلى عن دينها وأخلاقها ؟ هل سيكون موقفها كموقف النبي الأسوة - صلوات ربي وسلامه عليه - ، فيقول أبناءها بصوت واحد : إنا صائمون عن طعامكم وشرابكم ، وليسعنا ورق الشجر الذي أكله أسلافنا ثباتاً على دينهم وإيمانهم ؟! هل تربي أبناء أمتنا على مثل هذه المواقف الحميدة ؟! أسأل ربي سبحانه أن يعيننا على ذلك .

مستمعي الكرام ! (كان إبراهيم بن أدهم رحمته الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات ، فيقول : إنها غالية ، أرخصوها بالترك !)^(١) . وقيل له : (إن اللحم قد غلا ! . فقال : أرخصوه ، لا تشتروه ، وأنشد في ذلك :

وإذا غلا شيء عليّ تركته ﴿ فيكون أرخص ما يكون إذا غلا)^(٢) .

أما الشكر على النعمة موجودة ، فرمضان يربي طلابه الصائمين على هذه الخصلة الكريمة تربية تامة خالصة لا شائبة فيها ، لماذا ؟ .

لأن الصائم حينما يجلس على مائدة الإفطار بما فيها من رزق حلال ، وهو يتحيز غروب الشمس بعدما عضّه في النهار الجوع والظمأ ، فإنه في تلك اللحظات لا يستخف بالنعمة مهما قلت أو دقت ، وتراه يشكر الله ويعظمه شكراً جزيلاً على ما أحسن وتفضل ، وهذا الشكر تضيق مساحته بعد رمضان عند كثير من الناس ، وصدق الله القائل : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ [سبأ : ١٣] . وينبغي على الصائم بحق أن يتخذ من شكره في رمضان شكراً يمتد معه إلى رمضان قادم .

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٣ ص ٨٧ .

(٢) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ج ١ ص ٣٦ .

انظروا - أيها الإخوة والأخوات! - إلى ما كان يقوله النبي ﷺ ساعة إفطاره ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَّتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». أخرجه أبو داود^(١)، وهو حسن .

فاعتراف النبي بالظمأ في مساء كل يوم من رمضان هو عين الافتقار إلى الله تعالى ، والافتقار هو من أفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى ، إذا لم يكن أجلاً على الإطلاق ، وهذا الافتقار الذي يشعر به كل صائم يومياً يذكرنا بافتقار نبي الله موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إلى خالقه ﷻ ، والذي أنزل فيه قرآناً يُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، حيث قال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [الفصل: ٢٤] .

وقوله ﷺ: «ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ» اعتراف منه وإقرار بنعمة ذهاب الظمأ وابتلال العروق ، والإقرار بالنعمة يعني الاعتراف بأنها من عند الله ﷻ وهو واحد من أهم أركان الشكر ، ومن أدلته قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَكُرُّ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] . وهذا هو عين الشكر على النعمة موجودة ، ومن تحقق فيه ذلك يكون قد نجح في مادة: (التوازن النفسي مع النعمة وجوداً وعدمًا) من مقررات مدرسة رمضان الخيرية .

فرمضان - أعزائي المستمعين! - يلقن الصائمين درساً في الثبات أمام متقلبات الحياة ، وتبدلات الرزق والمعيشة ؛ كي يشكروا النعمة إذا أقبلت ، ويصبروا عليها إذا أدبرت .

❁ أيها الإخوة والأخوات! أنتقل بكم الآن إلى المادة الخامسة من مقررات مدرسة رمضان المبارك ، وهي بعنوان: (إرغام الشيطان) .

حتى نعرف أهمية إرغام الشيطان في رمضان ؛ فنشكر الله على نعمة إرغامه ،
لا بد لنا أولاً من التعرف على هذا العدو ؛ لأن معرفة العدو تُعدُّ من أهم عوامل
النصر عليه ، فلنتعرف على عدونا الأول من خلال هذه النصوص الكريمة:

﴿ أولاً - الشيطان عصيٌّ للرحمن ، وعدوٌّ للإنسان :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤] . وقال سبحانه:
﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمُ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
[فاطر: ٦] .

﴿ ثانياً - الشيطان غايته إضلالُ العباد ، فهو لا يأمرهم إلا بشر ، ولا ينهاهم
إلا عن خير :

قال الله ﷻ: ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠] . وقال
أيضاً: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] . فهو يصوِّر
للأغنياء رُكود الأسواق ، وكساد التجارات ، وهبوط العملات ؛ كي يبخلوا
بصدقاتهم على الفقراء والمحتاجين ، كما يأمر الناس عامة - فقراءهم وأغنياءهم -
بالفحشاء ، وهي المعاصي بكل صنوفها ، فمن ذلك :

الفرار من الزحف ، وهو الهروب من ساحات النزال ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ
الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ [آل عمران: ١٥٥] .
ومن المعاصي التي يأمر بها الشيطان: شرب الخمر واللعب بالقمار: قال
الله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠] .

ومن المعاصي التي يأمر بها الشيطان: نشر العُريِّ بين الجنسين: قال الله ﷻ: ﴿يَنْبَىٰٓءَآدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧] .

ومن المعاصي التي يأمر بها الشيطان: نشر العداوات والحروب بين البشر: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٩١] .

ومن المعاصي التي يأمر بها الشيطان: ممالأة الظالمين ، وتكثيرُ جموعهم ، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

هذا ، وللحديث بقية أتركها للغد بإذن الله تعالى ، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله على محمد عبد الله ورسوله ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة الثامنة

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! أبدأ حديثي معكم اليوم من حيث انتهى بالأمس ، وكنت إذ ذاك أقدم نبذة عن الشيطان الرجيم عدونا الأول ، وعن بعض المعاصي التي يأمر بها ، ومنها - علاوة على ما ذكرت بالأمس - : تبذير الأموال بصرفها فيما حرم الله تعالى ، أو بإضاعتها بما لا نفع فيه ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧] .

ومن المعاصي التي يأمر بها الشيطان أيضاً : التفريق بين الزوج وزوجته : فعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إِنَّ إِبْلِيسَ يَضْعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ ، يَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا . يَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ! قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ ، يَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ! قَالَ : فَيُذْنِيهِ مِنْهُ ، وَيَقُولُ : نِعَمَ أَنْتَ . قَالَ الْأَعْمَشُ : أَرَاهُ قَالَ : فَيَلْتَزِمُهُ » . أخرجه مسلم ^(١) . أي فيعاقبه رضا عنه بما صنع .

فالشیطان - كما ذكرت في الحلقة السابقة - عصيٌّ للرحمن ، وعدوٌّ للإنسان أولاً ، والشیطان - ثانياً - غايته إضلالُ العباد .

* ثالثاً - الشیطان لا یقیم لأتباعه وُدًّا ، ولا یحفظ لهم عهداً ، ولا یصدقهم وعداً: یقول الله تعالى شأنه: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩] . ویقول سبحانه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] . وخوفُ الشیطان من الله ﷻ ليس كخوف المؤمن أبداً ، فالشیطان یخاف الله تعالى ويُبغضه ، أما المؤمن فإنه یخاف الله ويحبه ويعبده ، وشتان شتان بین الخوفین ! .

وفي إخلاف الشیطان بوعده یقول الله ﷻ: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠] . أي إلا كذباً وخداعاً .

* رابعاً - الشیطان عدوٌّ ماکر بصفاته الخَلقية ، وبأساليبه التضليلية ، أما مكره في صفاته الخلقية ، فهو یرانا ولا نراه ، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧] . وقبيله - في الآية - تعني^(١) جنسه .

تصور - أيها المستمع الكريم! - أن لك عدوًّا تقاتله ، لا أقول: إنه أقوى منك ، بل أنت أقوى منه ، لكنك تقاتله في موقع یراك منه ولا تراه ، كيف ستكون النتيجة؟! ما مثلك في هذه الورطة إلا كمثل شاب قويٍّ لكنه كفيفُ البصر ، ینازل صبيًّا مبصرًا یرميه من كل جانب! .

(١) يُنظر: الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٠ ص ١٣٦ .

ومن صفاته الخلقية أيضاً - عليه لعنة الله تعالى - أنه لا يمل ولا يتعب في حرب الإنسان ، اقرؤوا معي - مستمعي الكرام! - هذه الآية الكريمة ، وهي تُظهر إصرار الشيطان على إضلال البشر ، يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ فِيمَا أَعُوذُ بِكَ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦ ﴾ ثُمَّ لَا تَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿ [الأعراف: ١٧] .

وأما عن مكر الشيطان في أساليبه ، فللشيطان في مكره بالإنسان أساليب متنوعة ، فمن ذلك : أنه يخوف أتباعه ، ويؤسوس لهم بأنهم دوماً في حاجة إليه ، وأنهم سينالهم الضرر بمجرد التفكير بالخروج عنه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائِهِ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

ومن أساليبه الماكرة أيضاً أنه يتبع في إضلاله أسلوب التدرج ، وهو ما يُطلق عليه في أيامنا سياسة الخطوة خطوة - إذا صح التعبير - فهو لا يأمر الطائع لله تعالى بالكفر من أول مرة ؛ لعلمه بأن أمره سيرفض ويرد ، فهو يحاول معه ، فيُدخله بخداعه وتزيينه أبواباً - باباً من بعد بابٍ - فيُخرجه من آخرها بالكفر إن استطاع ، نعوذ بالله من شر الشيطان .

فقد يزين الشيطان للمطيع التوسع في الأخذ بالرخص ، كأن يزين له ترك المستحبات الشرعية ؛ ليصل به إلى ترك الواجبات ، أو يزين له الوقوع بالمكروهات على أنها أقل شأناً من المحرمات ؛ ليصل به بعد ذلك إلى اقتراف المحرمات .

وقد يفعل معه الضد من ذلك ، فيزين له أن التشدد في أداء العبادات هو عين الورع ، إلى أن يصل به إلى السامة من العبادة ، وتركها نهائياً عياداً بالله تعالى .

ذلك في أهل الطاعة ، أما العصاة فيزيدهم ضلالاً فوق ضلالهم ، وحتى لا نكون - معشر المسلمين - في غفلة من هذا المكر الشيطاني حذرنا الله تعالى من اتباع خطوات الشيطان ، فقال جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] .

ويحضرني الآن هذا الخبر ، الذي ذكره الطبري في تفسيره^(١) ، وهو مروي عن عليّ وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين ، والخبر يصور بوضوح تام خطوات الشيطان في الإضلال ، وذلك أنه كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله ، فيحسن عبادته ، وكان يؤتى من كل أرض ، فيسأل عن الفقه ، وكان عالماً .

وإن ثلاثة إخوة كانت لهم أختٌ حسنةٌ من أحسن الناس ، وإنهم أرادوا أن يسافروا ، فكبر عليهم أن يخلّفوها ضائعةً ، فجعلوا يأتُمرون^(٢) ما يفعلون بها ؟ فقال أحدهم : أدلكم على من تتركونها عنده ؟ قالوا : من هو ؟ قال : راهب بني إسرائيل ، إن ماتت قام عليها ، وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه ؛ فعمدوا إليه ، فقالوا : إنا نريد السفر ، ولا نجد أحداً أوثق في أنفسنا ، ولا أحفظ لِمَا وَلِيَّ منك لما جعل عندك ! فإن رأيت أن نجعل أختنا عندك ؛ فإنها ضائعةٌ شديدةُ الوجد ، فإن ماتت فقم عليها ، وإن عاشت فأصلح إليها حتى نرجع . فقال : أكفيكم إن شاء الله . فانطلقوا ، فقام عليها ، فداواها حتى برأت ، وعاد إليها حسنُها ، فاطلع إليها فوجدها متصنّعةً [يعني : متزيّنة] ، فلم يزل به الشيطان يزيّن له أن يقع عليها حتى وقع عليها ، فحملت ، ثم ندّمه الشيطان ، فزين له قتلها ؛ قال : إن لم تقتلها افتضحت ، وعُرف شَبْهُك في الولد ، فلم يكن لك معذرة ، فلم يزل به حتى قتلها ، فلما قدم إختوها

(١) يُنظر: ج ٢٢ ص ٥٤١ إلى ٥٤٣ .

(٢) يتشاورون .

سألوه ما فعلت ؟ قال : ماتت دفنتها ، قالوا : قد أحسنت ، فأتى الشيطان إخوتها في المنام ، فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة فَجَرَّ بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ، ثم دفنها تحت شجرة كذا وكذا ، في مكان كذا وكذا ؛ فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله ، لقد رأيت البارحة رؤيا ، وما أدري أقصها عليكم ، أم أترك ؟ قالوا : لا بل قُصَّها علينا ؛ قال : فقصها ، فقال الآخر : وأنا - والله ! - لقد رأيت ذلك ؛ قالوا : فما هذا إلا لشيء ، فعمدوا إلى الشجرة ، فوجدوها تحتها قد قتلت ، فانطلقوا فاستعدوا ملِكهم على ذلك الراهب ، فأتوه فأنزلوه ، ثم انطلقوا به ، فلقية الشيطان ، فقال له : أنا زينت لك الزنا ، وقتلها بعد الزنا ، فهل لك أن أنجيك ؟ قال : نعم ! قال : أفتطيعني ؟ قال : نعم ! قال : فاسجد لي سجدة واحدة ؛ فسجد له ، ثم قُتل ! فذلك قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر: ١٦] .

أيها الإخوة والأخوات ، يا طلاب مدرسة رمضان ! أرجو - بما قدمته إليكم اليوم وأمس - أن تكون صورة الشيطان اللعين قد وضحت لديكم أكثر من ذي قبل ، وهذا بدوره سيعيننا ويشجعنا على النجاح في مادة إرغام الشيطان ؛ لأن من أهم أسباب النصر أن نعرف عدونا ، وقد عرفناه ، والحمد لله رب العالمين .

ولسائل أن يقول : نحن في حرب مع الشيطان السنَّة كلها ، فلماذا نُصِرُّ على حربه في رمضان ؟ ! .

أقول جواباً : نحن بلا شك في حربٍ ضروسٍ مع الشيطان من مهدنا إلى لحْدنا ، والشيطان حاضر في رمضان وغير رمضان ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] .

ولكننا في رمضان نغتني فرصة يكون الشيطان فيها ضعيفاً ذليلاً ، فنكُرُّ عليه ،

كما هو الحال في التكتيك الحربي!.

ولكن ما الذي يُضعِفُ الشيطان؟. مستمعي الكرام! الشيطان تُضعفه طاعاتنا، وتقويه معاصينا، والطاعات في رمضان كثيرة ومتنوعة، أليس كذلك؟ صيامٌ وقيامٌ واعتكافٌ وتلاوةٌ للقرآن، وصدقات، وغيرها، فهذه الطاعات تُثقل كاهل إبليس وجنوده عليهم لعنة الله تعالى، فتُضعفه وتُوهِنه، وحينئذٍ يسهل علينا التحرر منه إلى حين، وهذا الحين يطول عند بعض الصائمين، ويقصر عند بعضهم، يطول عند المجتهدين في عباداتهم، والناشطين في مجاهداتهم، ويقصر عند الكسالى الخاملين.

والصوم أيضاً يُغلق أهمَّ معبرين يعبر منهما الشيطان إلى الإنسان، إنهما البطن والفرج، فالصائم بطنه خاوية جائعة، والجوع يُطفئ شهوته، ولهذا أرشد النبي ﷺ العزَّاب بالصوم إلى أن تتيسر لهم أسباب الزواج، كما جاء في الحديث الصحيح، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ». أي: مُضْعِفٌ للشهوة، والحديث أخرجه البخاري^(١).

فبإغلاق معبري البطن والفرج تتقيد قدرات الشيطان، وحينئذٍ يرضى بتوافه الذنوب، يرسلها إلى نفس الصائم وساوس من وراء القيود، والتي لن تضر - بإذن الله تعالى - كلَّ من صام وقام، واجتهد في عبادة الرحمن.

مستمعي الكرام! قد تتساءلون - ومن حقكم أن تسألوا - عن الدليل الشرعي بأنَّ الشيطان يُضعِفُ ويُهَان في رمضان، وإليكم الدليل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول:

(١) تقدم تخريج الحديث ومعنى الوجاء في الحلقة الرابعة.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحَتُّ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِّسَتِ الشَّيَاطِينُ». أخرجه البخاري^(١).

وفي رواية - عند الترمذي^(٢) - زيادة: «وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ...». وفي هذا النداء إرغام شديد للشيطان، وأي إرغام للشيطان أكبر من أن نلبي هذا النداء المبارك؟! لِنُكْثِرَ من فعل الخيرات، ونكفَّ عن المعاصي والمنكرات، فهل أنتم مستجيبون مستمعي الكرام؟! اللهم أعنا على ذلك.

ويا طلاب مدرسة رمضان! لماذا تُفتح أبواب الجنة في رمضان؟ ولماذا تغلق أبواب جهنم؟.

هذا ما سوف أُجيب عنه في حلقة الغد بإذن الله تعالى وعونه، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه، وتقبل الله منا الصيام والقيام، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار، وصلى الله على محمد عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



(١) برقم: ٣٢٧٧.

(٢) برقم: ٦٨٢.

الحلقة التاسعة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين ، اللهم ، لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، فإنك إذا شئت جعلت الحزن سهلاً ، سهل لنا أمورنا ، واشرح صدورنا ، واهدِ قلوبنا ، وسدد ألسنتنا .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! كما وعدتكم في الحلقة السابقة أبدأ هذا اللقاء بالإجابة عن السؤالين الآتين :

لماذا تفتح أبواب الجنة في رمضان ؟ ولماذا تغلق أبواب جهنم ؟ .

تفتح الجنة أبوابها في رمضان فرحاً بعبادة الصائمين ، وتهيئاً للقائهم ، أليس في الجنة باب لا يدخله إلا الصائمون ؟! فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرِّيَّانَ ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ » . أخرجه البخاري^(١) ، وفي رواية الترمذي^(٢) : « وَمَنْ دَخَلَهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا » . فلهذا - أيها الإخوة ! - سمي الريّان ، اللهم أكرمنا بدخول الجنة من باب الريّان ؛ إنك سميع مجيب ! .

ولماذا تُغلق أبواب جهنم في رمضان ؟ تغلق رحمةً بالصائمين ، ولهذا كان عتق الرقاب من النار في كل ليلة من رمضان ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

(١) برقم : ٣٢٥٧ ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٢) برقم : ٧٦٥ ، صحيح .

قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عِتْقَاءً». أخرجه أحمد^(١)، وهو صحيح لغيره.

ولا غرابة عند المسلم من ذلك، فالجنة والنار لهما أحاسيسهما ومشاعرهما، وهذا أمر غيبي لا نسرح فيه طويلاً، ولكن ألم يقل الله تعالى في النار: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]. فأثبت الله - سبحانه - لها الكلام. وفي الحديث المتفق عليه^(٢): قال رسول الله ﷺ «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا! فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشَّيْءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الرَّمْهِيرِ». فالنار إذن تشتكي.

والآن نعود معاً إلى الحديث الشريف الذي كنا ندرسه في الحلقة السابقة، وهو قول رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتَحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ». أخرجه البخاري^(٣).

فقول النبي ﷺ: «وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» هو موطن الشاهد في الحديث، وهو دليل على أن الشياطين يَضْعُفُ سلطانُها، ويَحُدُّ من قدراتها في شهر رمضان؛ لأن معنى «سُلْسِلَتْ»: شُدَّتْ وَقِيدَتْ بِالْأَغْلَالِ، وهي الأصفاد، وفي إحدى روايات الحديث «وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ». أخرجه مسلم^(٤).

ولكن - والحق يقال - إذا كانت الشياطين في رمضان مصفَّدة، فلماذا نرى بين الحين والآخر منازعاتٍ ومشاجراتٍ بين الصائمين؟!.

وهذا واقع لا ينكره أحد، كيف وقد حصل في زمن النبوة نزاع بين رجلين

(١) برقم: ٢٢٢٠٢، صحيح لغيره.

(٢) البخاري: ٣٢٦٠، ومسلم: ٦١٧، عن أبي هريرة ؓ.

(٣) برقم: ٣٢٧٧.

(٤) برقم: ١٠٧٩.

في رمضان ، فكان ذلك السبب في ارتفاع العلم بليلة القدر على وجه الدقة ، ففي حديثٍ أخرجه الإمام مسلم^(١) قال رسول الله ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهَا كَانَتْ أُبَيِّنَتْ لِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، وَإِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِهَا ، فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحْتَفَانِ ، مَعَهُمَا الشَّيْطَانُ ؛ فَتَسَيَّئُهَا ... » . ومعنى يحتفان : (يختصمان ، ويطلب كل واحد منهما حقَّه)^(٢) .

إذن ما معنى كون الشياطين مصفدةً في رمضان ، وآثارها باقية في المجتمع ؟
ما معنى ذلك ؟ .

للعلماء في هذه المسألة أقوال^(٣) ، منها :

يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ لَا يَخْلُصُونَ مِنْ افْتِتَانِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ ؛ لِاشْتِغَالِهِمْ بِالصِّيَامِ الَّذِي فِيهِ قَمَعَ الشَّهَوَاتِ ، وَبِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ .

أَوْ أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالشَّيَاطِينَ بَعْضُهُمْ ، وَهَمَّ الْمَرَدَّةُ مِنْهُمْ ، وَاسْتَدَلُّوا بِرَوَايَةِ لِلْحَدِيثِ ، وَفِيهَا : « وَتُعَلَّلُ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ » . أخرجه النسائي^(٤) ، وهو صحيح .
والمردة : جمعٌ ، مفردة : مارد ، وهو العاتي المستكبر .

ولأبي العباس القرطبي^(٥) جواب في ذلك سديد ومفيد ، فهو يقول : فإن قيل : فنرى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيراً ، فلو كانت الشياطين مصفدةً ، لما وقع شرٌّ ؟ .

(١) برقم : ١١٦٧ ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ١ ص ٤١٤ .

(٣) يُنظَرُ : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٤ ص ١١٤ ، باختصار .

(٤) برقم : ٢١٠٦ .

(٥) المُفْهَمُ لما أَشْكَلَ من تلخيص كتاب مسلم ، ج ٣ ص ١٣٦ .

فالجواب من أوجه:

* أحدها - إنما تُغَلّ الشياطين عن الصائمين الصوم الذي حُوْفظ على شروطه ، ورُوعيت آدائُه ، أما ما لم يُحافظ عليه فلا يُغَلُّ عن فاعله الشياطين .

* الثاني - إنّنا لو سلّمنا أنها صُفِّدت عن كل صائم ، لكن لا يلزم من تصفيد جميع الشياطين أن لا يقع شر ؛ لأن لوقوع الشر أسباباً أخر غير الشياطين ، وهي : النفوس الخبيثة ، والعادات الركيكة ، والشياطين الإنسية .

* والثالث - ... المقصود: تقليل الشرور والفواحش ، وهذا موجود في شهر رمضان ؛ لأن وقوع الشرور والفواحش فيه قليل بالنسبة إلى غيره من الشهور .

❁ والآن - أيها الإخوة والأخوات ! - أنتقل بكم إلى المادة السادسة من مواد مدرسة رمضان ، ألا وهي مادة : (الهمة والنشاط) .

قد يقول قائل : وهل في رمضان همة ونشاط ، وقد عهدنا الناس فيه نياماً ، لا توقظهم إلا الصلاة ؟! فأقول له : كلامك هذا ينقل واقعاً لا يعكس ما كان عليه الناس في صدر الإسلام ، ولا يعبر عما عليه حال الصالحين منا ، ولا يُمثل حقيقة ما يرضاه لنا ديننا .

رمضان - أعزائي المستمعين ! - فرصة لمضاعفة الأجور ، فكيف لا ننشط لها بالعبادات ؟! وكيف لا نَعْمُرُها بالصالحات ؟! إذا لم يكن رمضان شهر همة ونشاط ، فأخبروني متى كانت غزوة بدر بنصرها ؟! ومتى كانت غزوة فتح مكة المكرمة ؟ أليس في رمضان ؟ بلى . بل إن جزءاً من أيام غزوة تبوك كان في رمضان ، وأنتم تدرون ما غزوة تبوك ؟! إنها غزوة العسرة ، هكذا سماها القرآن الكريم ؛ لأنها وقعت في أيام صيفٍ ، في حرٍّ لا يُطاق ، قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧] .

وبعد زمن النبوة كم شهد المسلمون في رمضان من فتوحات وغزوات؟! ففي رمضان كانت معركة القادسية، ومعركة البُويب^(١)، وقد انتصر فيهما المسلمون على الفرس نصرًا مؤزرًا، وفي رمضان أيضًا فتح المسلمون جزيرة رُودس^(٢)، في البحر الأبيض المتوسط بعدما كبّدوا الروم خسائر فادحة، وقد قادها الصحابي الجليل جُنادة بن أمية الدوسي، وفي رمضان كانت معركة عين جالوت، وفيها دحر المسلمون التتار، وفي رمضان كان فتح الأندلس، وفيه أيضًا خاض القائد صلاح الدين الأيوبي ﷺ معارك كثيرة.

وقد يسأل سائل، فيقول: كيف خاض أسلافنا تلك المعارك، وحققوا تلك الانتصارات وهم صائمون؟! فأقول: رمضان - أيها الإخوة الصائمون، والأخوات الصائمات! - لا يُلزمنا بالصوم ونحن محتاجون إلى الفطر، فالله ﷻ لم يأمرنا بقطع أسفارنا، ولا بتعطيل جهادنا لأجل رمضان، لا، بل رخص لنا في الفطر لذلك، فقال - وهو أرحم الراحمين -: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فالآية الكريمة رخصت لأصحاب الأعذار الفطر في رمضان أيام عذرهم على أن يقضوها بعد رمضان، ولو كان العذر سفرًا للتجارة، ثم المسافر ينظر: إن وجد في نفسه قدرة على الصوم كان الصوم في حقه أفضل - لا أقول: ألزم بل أقول: أفضل -؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

(١) وقعت سنة ١٣هـ/، وقادها المثنى بن حارثة الشيباني ﷺ، وانتصر فيها على الفرس، وأوقع فيهم قتلاً عظيماً، والبُويب نهر متفرع من الفرات. يُنظر: محمود شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٢.

(٢) وقعت سنة ٥٣هـ/، يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١ ص ٢٥٩. و"رُودس": جزيرة مقابل الإسكندرية على ليلة منها في البحر. الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ص ٧٨.

وإن وجد في نفسه ضعفًا كان الفطر في حقه أفضل ؛ لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ». أخرجه أحمد^(١)، وهو صحيح. إلا إذا كان ضعفه شديدًا، وضرره بالصوم كبيرًا، فإنه - والحال هذه - مُلَزَمٌ شرعًا بالفطر، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ فِيَمَا فَعَلْتَ، فَدَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ! فَقَالَ: أُولَئِكَ الْعَصَاةُ، أُولَئِكَ الْعَصَاةُ»^(٢).

قال النووي رحمه الله: وهذا محمول على من تضرَّر بالصوم، أو أنهم أُمِرُوا بالفطر أمرًا جازمًا لمصلحة بيان جوازه، فخالفوا الواجب، وعلى التقديرين لا يكون الصائم اليوم في السفر عاصيًا إذا لم يتضرر به.

وبعد الذي تقدم هل يشك عاقل بأن رمضان شهر الهمة والنشاط، وإذا تقرر لنا ذلك، فما هي الأنشطة التي ينبغي على الصائم أن يمارسها في رمضان؟.

في رمضان أنشطة كثيرة أذكركم - إخواني الصائمين، وأخواتي الصائمات! - بأهمها، ومنها: تلاوة القرآن، وصلاة القيام، والاعتكاف، وهو ما سوف يأتي تفصيله بدءاً من لقاء الغد بإذن الله تعالى، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى، الذي لا تضيع ودائعه، وتقبل الله منا الصيام والقيام، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار، وصلى الله على محمد عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) برقم: ٥٨٦٦.

(٢) مسلم: ١١١٤.

الحلقة العاشرة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً ، والصلاة والسلام على أكمل خلقه وأشرف رسله
نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه من بعده .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما
ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .

❁ وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! لا يزال
الحديث عن المادة السادسة من مقررات مدرسة رمضان ، وهي مادة : (الهمة
والنشاط) ، نسأل الله ﷻ أن يكتب لنا النجاح فيها ، وكنت قد ذكرت في الحلقة
الماضية - على سبيل الإجمال - أن أهم ما ينشط له الصائم في رمضان أمور ثلاثة ،
هي : تلاوة القرآن ، وصلاة القيام ، والاعتكاف .

واليوم أفصل إليكم تلك الأنشطة ملتصقة بالتأييد والتسديد من الرحمن
الرحيم ﷻ :

مستمعي الأفاضل ! يعتقد المسلم بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى ، المتعبّد
بتلاوته ، فتلاوة القرآن الكريم تدخل في جملة العبادات التي يؤديها المسلم ،
ولهذا فإننا مأمورون بتلاوة القرآن الكريم ، فقد قال الله ﷻ : ﴿ وَرَقِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾
[المزمل : ٤] .

وفي القرآن الكريم شكوى يرفعها النبي ﷺ إلى الله ﷻ على قوم هجروا
القرآن الكريم ، وعطلوا أحكامه ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا

هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿﴾ [الفرقان: ٣٠].

ويرغب النبي ﷺ بتلاوة القرآن الكريم ، فيقول: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ». أخرجه البخاري^(١).

ويقول أيضاً ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِمْ حَرْفٌ». أخرجه الترمذي^(٢)، وهو صحيح.

والصلاة - وهي أهم شعائر الإسلام - لا تصح من دون تلاوة القرآن الكريم ، وخصوصاً فاتحة الكتاب .

ولمّا كانت تلاوة القرآن الكريم عبادةً، فإن لها في شرعنا أحكاماً وآداباً، أسوةً بسائر العبادات ، وها أنا ذا أذكركم بأهمها ، فالمصحف الشريف لا يمسه إلا طاهر من الحدثين: الأكبر والأصغر ، وهو ما عليه أكثر الفقهاء ، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] . ولا يتلو القرآن الكريم جنبٌ ، ولو من دون مسٍّ للمصحف ، والحائض والنفساء هما في حكم الجنب ، ومن الفقهاء من خصهما ببعض الرخص ، تُطلب في مظانها من كتب الفقه الإسلامي . أما استماع الجنب للقرآن الكريم ، فلا حرج فيه ، والله تعالى أعلم .

وكما هو حال العبادات جميعها ، فإن تلاوة القرآن تبعث في القلب اطمئناناً ، وفي الصدر انشراحاً ، وفي النفس سكينَةً ، فالتالي لكتاب الله تعالى لا يَمَلُّ تلاوته على كثرة التكرار ، بخلاف كتب البشر ، فالقارئ لها لا يعود إليها بعد القراءة الثانية

(١) برقم: ٤٩٣٧ ، ومسلم: ٧٩٨ - واللفظ له - عن أم المؤمنين عائشة ؓ .

(٢) برقم: ٢٩١٠ ، عن عبد الله بن مسعود ؓ .

أو الثالثة في الأكثر ، مهما تَفَنَّنُوا فيها ، وَنَمَّقُوا جَمَلَهَا .

أيها الإخوة والأخوات ، يا طلاب مدرسة رمضان ! أليست تلاوة القرآن مطلوبةً في السنة كلها ؟! فلماذا - إذن - نخص شهر رمضان بمزيدٍ منها ؟ .

مستمعي الكرام ! ليكن في حُسبانكم أن الإسلام يريد منا أن نحفظ الوُدَّ لأهله ، فكما للناس حظ من وُدِّنا ووفائنا ، فكذلك الزمان له حظ من وُدِّنا ووفائنا ، وحتى المكان له ذلك منا ، ألا تذكرون مقالة نبيكم محمد ﷺ في جبل أُحُدٍ لما رآه ، وكان راجعاً من غزوة تبوك ؟! قال له : « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » . أخرجه البخاري (١) .

ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس شغلتهم الدنيا عن حفظ وُدِّ الناس ، بل عن وُدِّ الأرحام ، فكيف نتصور من هؤلاء أن يكونوا أوفياء مع الزمان أو المكان ؟! .

فرمضان شهر فيه أنزل القرآن الكريم وتنزل ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] . وقال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] . فهو شهر القرآن ، والصائمون وفاءً له يتلون فيه القرآن الكريم حقَّ التلاوة ، ويخصُّونه من بين الشهور بمزيدٍ منها ، وهو ما كان يفعله النبي ﷺ مع جبريل ؑ ، فقد « كَانَ جِبْرِيلُ ؑ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلَخَ ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ » . أخرجه البخاري (٢) .

فالنبي ﷺ يقرأ القرآن على جبريل بعدما تلقاه منه ؛ كي يطمئن من ثبوته في قلبه الشريف ، وهذه السنة يجب على طلاب مدرسة رمضان ألا يغفلوا عنها ، وينبغي أن نَعْمُرَ بها مساجدنا ، كما هو حال أكثر المساجد في بلاد المسلمين

(١) برقم: ١٤٨١ ، عن أبي حُمَيْد الساعدي ؓ .

(٢) برقم: ١٩٠٢ ، عن ابن عباس ؓ .

الواسعة بحمد الله تعالى، فحلّق تلاوة القرآن وتعلّمه أكثر ما تنعقد في رمضان، وهذا ليس بدعة في الدين، كلاً، فقد قال رسول الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ...». أخرجه مسلم^(١).

وهنا لا بد من أن أؤكد على أهمية التلقّي والعرض في تعلّم القرآن الكريم، فالنبي ﷺ يقول: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَعَلَّمَهُ». أخرجه البخاري^(٢). ولا زلت ترى في المسلمين من يقرأ القرآن الكريم، وهو لا يُلقِي بالاً بحركات إعراب، ولا بمكان وقف، ولا بمدٍّ أو بقصر؟!.

بل ترى فيهم من يخطئ في رسم الكلمة، فيقع بأخطاءٍ كبيرة، قد لا يُعذر بها عند الله تعالى، فمن ذلك: كان أحدهم يقرأ عليّ من سورة التوبة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]. أتدرون كيف قرأها؟ قرأها: إنما النساء زيادة في الكفر! فلما نَبَّهْتُهُ إلى خطئه، وصَوَّبْتُهُ له، إذا به يأسف ويقول: كم قرأتها هكذا على زوجتي! فوقع الرجل في خطأ مرّكب؛ فقد أخطأ في التلاوة، وأخطأ في الاستدلال أيضاً، وخطؤه في الاستدلال أكبر وأشد، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

أيها الصائمون والصائمات! ومن أنشطة شهر رمضان المبارك صلاة القيام جماعةً، وتسمى صلاة التراويح، لما يتخللها من استراحاتٍ بعد قيامٍ طويل، وفي ثواب هذا القيام يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا

(١) برقم: ٢٦٩٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم: ٥٠٢٧، عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». أخرجه البخاري^(١). والمراد بالإيمان: الاعتقاد بمشروعية القيام، وبالاحتساب: طلب الثواب من الله تعالى، وليس للرياء والسُّمعة.

وتؤكد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حرص النبي صلى الله عليه وسلم على قيام العشر الأواخر من رمضان، فتقول: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِزْرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّظَ أَهْلَهُ». أخرجه البخاري^(٢).

وشدَّ المِزْرَ إمَّا يكون على حقيقته، ويعني اعتزال النساء، والتفرغ للعبادة، وإمَّا يُحْمَلُ على المجاز، كما يقال: شَمَّرَ عن ساقه، وشمر للأمر: إذا تهيأ له، وجدَّ فيه، وعلى كلا الاحتمالين، فالحديث فيه دلالة واضحة على نشاط كبير في العبادة، وفيه أيضاً تذكير للآباء والأمهات بحثُّ أبنائهم لقيام ليالي العشر؛ فلعل نفحةً من الرحمن تصيبهم؛ فيسعدوا بها في الدنيا والآخرة.

هذا، ولا يزال المسلمون ينشطون في إحياء هذه الليالي العشر بالقيام والذكر والدعاء؛ اتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في سُنَّتِهِ هذه، وذلك بعد أدائهم صلاة التراويح، وأخذهم رَقْدَةً من النوم، فتراهم يسارعون إلى أداء صلاة التهجد جماعةً في المسجد، ويزداد نشاطهم في إحياء ليلة القدر التي رغب النبي صلى الله عليه وسلم في إحيائها، حيث قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». أخرجه البخاري^(٣).

وهنا أذكر إخوتي أئمة المساجد بأن يوفِّقوا بين أداء صلاة القيام على السُّنة،

(١) برقم: ٣٥، ومسلم: ٧٥٩ - واللفظ له -، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم: ٢٠٢٤.

(٣) برقم: ١٩٠١، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وبين قُدرَات الْمُؤْتَمِّينَ ، ومعلوم أن الإطالة هي الأصل في صلاة القيام ، لكن مع مراعاة تبدُّل الأحوال ، فالأمر نسبيٌّ يختلف من حال إلى حال ، فرسول الله ﷺ كما صح عنه - في البخاري^(١) وغيره - صلى في الناس من قيام رمضان ثلاثة أيام ، وكان ينتهي من صلاته في وقتٍ يظن الناس فيه أنهم لن يُدركوا الفلاح - يعني السُّحور - ، أي قريباً من الفجر ، وهم مع ذلك يزدادون إقبالاً ، حتى غَصَّ المسجد بهم ، رضي الله عنهم أجمعين ، ورزقنا إيماناً كإيمانهم ، وصلاةً كصلاتهم ، ونشاطاً كنشاطهم ، ولما رأى النبي ﷺ منهم ذلك الإقبال لم يُعَدِّ يصلي بهم خشيةً أن تُفَرِّضَ عليهم ، فيعجزوا .

ولكنَّ تخفيف الصلاة له ضوابطه ، بأن لا يكون مُخِلًّا بالاطمئنان ؛ لئلا نفع فيما حذرنا منه النبي ﷺ ، وذلك في قوله : «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ! قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟! قَالَ: لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا. أَوْ قَالَ: لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ» . أخرجه أحمد^(٢) ، وهو صحيح .

هذا ، والله أعلم ، وسوف يأتي تمامه في لقاء الغد بحول الله وقدرته ، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله على محمد عبد الله ورسوله ، وعلى آله وصحبه ، وسلِّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



(١) برقم: ٩٢٤ ، ١١٢٩ ، وفي مواضع أخرى من صحيحه ، وهو عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢) برقم: ٢٢٦٤٢ ، عن أبي قتادة رضي الله عنه .

الحلقة الحادية عشرة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على إمام
الأنبياء والمرسلين وخاتمهم أجمعين ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما
ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين ، يا أرحم الراحمين ! .

❁ وبعد ، فلا زلنا - مستمعي الأفاضل ! - مع مادة (الهمة والنشاط) ، وهي
المادة السادسة من مقررات مدرسة رمضان ، وكان منها في الحلقة السابقة تلاوة
القرآن الكريم ، وصلاة القيام .

واليوم أكمل - بإذن الله تعالى - ما بقي من هذه المادة ، فأتكلم عن نشاط
ثالث ، ينشط به وإليه الصائمون ، ألا وهو الاعتكاف ، فما الاعتكاف ؟ - أيها
الإخوة الصائمون والأخوات الصائمات ! - ، وما هو حكمه ؟ وما هي أحكامه ؟ وما
هي أسرارته ؟ .

أما الاعتكاف فهو^(١) في اللغة: ملازمة الشيء ، وهو في الفقه: اللُّبث في
المسجد على صفةٍ مخصوصةٍ بنية الاعتكاف .

وأما حكمه فهو مستحب ، يثاب فاعله ، ولا يعاقب تاركه ، إلا من نذره فإنه
يجب في حقه ، ودليل مشروعيته قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي
الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

(١) يُنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج ٥ ص ٢٠٦ .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشَرَ الْأَوَّلَ (١) مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ...». أخرجه البخاري (٢).

أما أحكام (٣) الاعتكاف فيلكم بعضاً منها ، وعلى سبيل الإيجاز:

أقلُّ الاعتكاف لحظة ، أو ساعة ، أو يوم ، أو يوم وليلة على ما ذكره الفقهاء ، والاعتكاف مستحب في كلِّ وقتٍ ، لكنَّ أفضله في العشر الأواخر من رمضان ؛ لمواظبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه .

يقول عبد الرحيم الدَّهْلَوِي رحمته الله في كتابه القِيم (حجة الله البالغة) (٤): (ولما كان الاعتكاف في المسجد سبباً لجمع الخاطر ، وصفاء القلب ، والتفرغ للطاعة ، والتشبه بالملائكة ، والتعرُّض لوجْدان ليلةِ القدر ، اختاره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العشر الأواخر ، وسنَّه للمحسنين من أمته).

ويرجع (٥) معتكف العشر الأواخر من رمضان إلى أهله بعد أن يشهد صلاة العيد ، ويكون بذلك قد أنهى اعتكافه .

وهل يعد الصوم شرطاً في الاعتكاف لمن أراد أن يعتكف في غير رمضان ؟ بعض الفقهاء اشترطوا الصوم لصحة الاعتكاف ، وأكثر الفقهاء على عدم اشتراطه ، لكنَّ الأفضل الجمعُ بين الصوم والاعتكاف .

(١) دل هذا على أن هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باقتراب رمضان من نهايته أن يزداد همّة ونشاطاً في تعبّده ، وهو القائل : «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ» . البخاري : ٦١١٧ .

(٢) برقم : ٢٠٢٦ .

(٣) يُنظر : الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج ٥ ص ٢٠٧ وما بعدها .

(٤) ج ٢ ص ٨٦ .

(٥) يُنظر : موطأ مالك ، ج ١ ص ٣١٥ .

وأهمُّ ما في الاعتكاف اللَّبث في المسجد وعدمُ الخروج منه قبل انتهاء مدة الاعتكاف إلا من حاجة، وللفقهاء في خروج المعتكف تفصيلات واسعة.

والاعتكاف كما يصح من الذَّكَر فإنه يصح من الأنثى؛ لاعتكاف نساء النبي ﷺ، ورضي الله عنهن.

ويُشترط في الاعتكاف طهارة المعتكف من الجنابة؛ فالجنب يحرم عليه المكوث في المسجد، فكيف يكون منه اعتكاف؟! أما إذا احتلم المعتكف فله الخروج من المسجد ليغتسل من الجنابة إلا إذا كان في المسجد مكاناً مناسباً للغسل فحينئذٍ لا يخرج.

والمتزوجة عليها أن تستأذن زوجها قبل أن تعتكف؛ لأن الاعتكاف يمنع الجماع؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وحق الزوج في التمتع بالزوجة واجب عليها، والاعتكاف ليس عليها بواجب، فلا يُترك واجبٌ لما ليس بواجب، كما يُشترط في مسجد اعتكاف النساء أن تكون الفتنة فيه مأمونة، بأن يكون في مَعَزَل من الرجال.

والمعتكف لا يتكلم إلا بخير، ولا يفعل إلا الخير، كذكر الله ﷻ، والصلاة على النبي ﷺ، وتلاوة القرآن الكريم، والصلاة، ومداينة العلم، والتفكير، والتوبة، ونحوها، ويكره له التوسع في الكلام المباح.

ويجوز للمعتكف التنظف والتطيب، ولكن من دون مبالغة حتى لا يخرج عن زهد العاكفين.

ومن أسرار الاعتكاف أنه يُسهِم في جعل المعادلة بين متطلبات الجسد والروح متكافئة، فالجسد له غذاؤه، والروح لها غذاؤها، فغذاء الجسد معلوم

ومطلوب شرعاً من أبوابه الحلال ، أما غذاء الروح - وهو الأهم ؛ لأن الجسد يلى ، والروح تبقى - فنجد أكثر الناس قد غفلوا عنه ، وإلى الله المشتكى .

وبعد ، فكيف نغذي أرواحنا مستمعي الكرام ؟!

نغذي أرواحنا بمراقبة النفس ومجاهدتها ، ففي مراقبة النفس يقول الله تعالى: ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ ﴾ [القيامة: ١٤] . وفي مجاهدتها يقول سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۚ ﴾ [الشمس: ٩] . ومما تتغذى به الروح أيضاً الاتصال بالخالق بالعبادات المكتوبة ، والأذكار المأثورة ، والنظر والتفكير بالآيات الكونية الدالة عليه سبحانه ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضَرِّيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ ﴾ [البقرة: ١٦٤] . كما قال ﷺ: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧٨﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٧٩﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٨٠﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠] .

والاعتكاف - مستمعي الكرام! - يُسهِم أشدَّ الإسهام في تحرير الروح من أثقال الجسد ومتاعبه ، ويُطَلِّق النفس من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة .

الاعتكاف - أيها الإخوة! - انقطاع عن الخلق واتصال بالخالق ، وهو ما كان يفعلُه النبي ﷺ قبيل بعثته في غار حراء ، حتى أتاه اليقين من ربه ، ونزل عليه الوحي وهو في الغار .

والمعتكف يحيا حياةً أشبه ما تكون بحياة الملائكة ، فهو يعبد الله ولا يعصيه مدةً اعتكافه ، وبذلك يكون قد انتصر لروحه وأنصفها ، وأسكنها بما يشبه غرفة الإنعاش بصفائها ونقاها .

❁ أيها الإخوة الصائمون، والأخوات الصائمات! أنتقل بكم الآن إلى المادة السابعة من مقررات مدرسة رمضان، إنها مادة (الجود والكرم):

أيها الإخوة! جرت العادة بين الناس أن مَنْ كثر ربحه زاد إنفاقه، والصائم له من الأجر ما لا يُحصيه إلا الله ﷻ، فناسب هذا أن يقابل بكثرة الإنفاق والتصدق على الفقراء والمساكين، وذوي الحاجة، شكرًا لله تعالى على ما رزق وأنعم، وغبطةً بثوابه الذي لا يعادله مال الدنيا وكنوزها، وهذا ما فطن إليه النبي الأسوة ﷺ، فكان إنفاقه في رمضان يسبق الريح المحملة بالخير والمطر؛ فقد ثبت عنه ﷺ - كما في صحيح البخاري^(١) - أنه كان «أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ... كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ». وفي مسند الإمام أحمد^(٢) زيادة سندها صحيح: «لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعْطَاهُ» ﷺ.

ورمضان يريد من أرباب الأموال أن يتحسسوا مرارة الجوع والظما في رمضان؛ كي يتذكروا إخوة لهم فقراء، حالهم أشبه بحال الصائمين على الدوام! فيحمدوا الله ﷻ على ما أولاهم من نعمه، ويبادروا إلى مساعدة إخوانهم المحرومين بكل ما أمكن.

ولهذا كانت مادة (الجود والكرم) من أهم مقررات مدرسة رمضان، فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا». أخرجه الترمذي^(٣)، وهو حسن صحيح.

(١) برقم: ١٩٠٢، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) برقم: ٢٠٤٢.

(٣) برقم: ٨٠٧.

كم أجر الصائم؟ أجره عظيم فوق العدّ، أخفاه الله عن الصائم كي يفرح به يوم الحساب، وأنت أخي المسلم بمجرد أن تُفطر صائماً واحداً كان لك مثل أجره، فأبشروا يا أصحاب الموائد الرمضانية، يا من تُفطرون في اليوم الواحد عشرات الصائمين بل المئات! أبشروا بالأجر العظيم، والعوض الكبير بإذن الله تعالى، فالكرم يغطي العيوب، ويمحو الذنوب!.

وما صدقة الفطر في رمضان إلا درس إلزامي في الكرم في حق كل مكلف يملك من القوت ما يكفيه يوماً وليلة، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ». حديث حسن، أخرجه أبو داود^(١).

حتى الفقير – أيها الإخوة والأخوات! – الذي لا يملك من القوت إلا ما يكفيه أربعاً وعشرين ساعةً يجب عليه – عند جمهور الفقهاء – أن يُنْفِقَ في رمضان شهر الكرم، وإنه لموقف عجيب سعيد حينما يأتي فقير – الناس يتصدقون عليه – يأتي أهل العلم ويسألهم عن صدقة فطره كيف يؤديها؟ وما إن يعلم الجواب حتى يسارع في بذلها لفقير مثله!.

أيها الإخوة والأخوات! فلنفخر بإسلامنا، ولنعتزّ بديننا، وحقّ لنا أن نفخر، وحقّ لنا أن نعتز، فهل سمعت الدنيا بمثل هذا التكافل، الذي يربي الإسلام أبناءه عليه؟!.

وإنني لأدّخر للقاء الغد كلمةً ناصحة لكل منفق صادق، ورجائي أن ينتفع بها؛ فيزداد إنفاقاً بإذن الله تعالى، وكلّي رجاء أيضاً أن ينتفع بها الممسك؛ فيقلع

عن إمساكه ، ويلحق بركب الكرماء بعون الله ﷻ .

وإلى أن يحين ذلك أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله
منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله على محمد
عبد الله ورسوله ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة الثانية عشرة

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .
وبعد ، فأسهل لقاء اليوم - أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! - بالكلمة الناصحة لأهل اليسار والغنى من أبناء ديننا الحنيف ، كما وعدتكم في ختام الحلقة السابقة .

أيها الإخوة المنفقون ، والأخوات المنفقات ! إن المنفق الصادق يعتقد أن نفقته يعود نفعها إليه في الدنيا والآخرة ، وليس إلى الله ﷻ ؛ لأن الله غني عن العالمين ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] .
وقال ﷻ : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧] .

أيها الإخوة المنفقون ، والأخوات المنفقات ! إن المنفق الصادق يتبغي بنفقته وجه الله تعالى وحده لا شريك له ، فالله تعالى يقول : ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] .

أيها الإخوة المنفقون ، والأخوات المنفقات ! إن المنفق الصادق يعتقد أن الله ﷻ سيعوّضه ما أنفق إما بالمال عدداً ، وإما بالبركة مدداً ؛ بأن يبارك له بماله بعد

النفقة ، مع ما أعد الله له من الثواب العظيم ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْتِ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] . ويقول رسول الله ﷺ : « قَالَ اللَّهُ ﷻ : أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ ... » . أخرجه البخاري (١) .

أيها الإخوة المنفقون ، والأخوات المنفقات ! إن المنفق الصادق ينفق من أجود ما عنده ؛ امتثالاً لقول الله ﷻ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٩٢] . وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا الْخَيْثَ مِنْهُ تَنْفَقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَّائِدِيهِ إِلَّا أَنْ تَغِضُوبًا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] .

أيها الإخوة المنفقون ، والأخوات المنفقات ! إن المنفق الصادق يعتقد أن المالك الحق هو الله تعالى ، وما العبد المنفق إلا بمثابة المؤتمن على المال ، والمستخلف فيه ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ٧] . ويقول أيضاً : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلِكِ تُؤْتِي الْمُلُكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

✽ أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ! أنتقل بكم بعد مادة (الجود والكرم) إلى المادة الثامنة من مقررات مدرسة رمضان المباركة ، ألا وهي : (التحرر من قيد العادة) . أجل ، التحرر من قيد العادة :

العادة – إخوتي الصائمين ، وأخواتي الصائمات ! – هي كل ما درج عليه الناس ، وتعارفوا عليه ، وغدا مقبولاً ومألوفاً فيما بينهم من كثرة عودته وتكراره ، والعادة إذا ما استحكمت حكمت وأسرت ، ومن العادات ما هو حسن جميل ،

(١) البخاري: ٤٦٨٤ ، عن أبي هريرة ؓ .

وعُرِفَ صالح ، ومنها ما هو على الضد من ذلك ، وإذا ما تعارضت العادة والعبادة قُدِّمت العبادة قطعاً .

أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ! يريد منا شهر رمضان أن نكون في دنيانا غير محكومين بنمط معين من الحياة ، نحياه ونألفه ، ولا نخرج عنه ، حتى إذا ما تبدلت الظروف والأحوال ، وفقدنا ذلك النمط ، اضطرب عيشنا ، وتكدرت حياتنا ! .

أما رمضان فهو يربي الصائمين على التكيف والتأقلم والانسجام - بكل الرضا والاقترار - مع تحولات الأقدار ، وتغيرات الأحوال ، وهو يريد منا أن نجعل ما أَلْفَنَاهُ من أنماط حياتنا محكوماً بشرعنا وبإرادتنا .

ألا ترون أن المسلم كان من عادته في غير رمضان أن يتناول وجبة الفطور بعد شروق الشمس ؟ . لكنه في رمضان يقدمها إلى السَّحَرِ تعبدًا لله تعالى ، ولو طُلِبَ منه ذلك في غير رمضان ، لأبى . وكان من عادته قبل رمضان أن يتناول وجبة الغداء ظهرًا ، فهو يؤخرها في رمضان إلى غروب الشمس تعبدًا لله تعالى .

وفي هذا تحرير للصائم من قيد العادة في طعامه ، وهو بعدئذ لن يقلق أبدًا ، ولن يفقد توازنه إذا ما أُخِّرَ عنه طعامه لأمر ما ؛ بل ربما نوى الصوم تحصيلًا للثواب ، كما كان يفعل النبي ﷺ إذا أصبح ولم يجد في بيته طعامًا ! فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : « دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ ؟ ! فَقُلْنَا : لَا . قَالَ : فَإِنِّي إِذْنٌ صَائِمٌ ... » . أخرجه مسلم ^(١) .

ولما كانت وجبة السَّحَرِ لم يَعْتَدُ عليها أكثرُ الناس ، فإن رسول الله ﷺ رَغِبَ

فيها ، وحثَّ عليها ؛ كي يَحْرِصُوا عليها ، ولا يُحَرِّمُوا فضلها ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ » . أخرجه ابن حبان ^(١) ، وهو صحيح .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكََةً » . أخرجه البخاري ^(٢) . والسَّحُورُ ضُبِطَتْ هنا بفتح السين ، وضُبِطَتْ بضمه في روايات أخرى ، والفرق بين السَّحُورِ والسُّحُورِ أن الأول يطلق على الطعام الذي يُتَسَحَّرُ به ، أما الثاني فيطلق على تناول السَّحُورِ : أَكَلِهِ وشربه .

ويرغب النبي ﷺ مرة أخرى بالسَّحُورِ ، فيقول - وهو يتسحر - : « إِنَّهَا بَرَكََةٌ أَعْطَاكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا ؛ فَلَا تَدَعُوهَا » . أخرجه النسائي ^(٣) ، وهو صحيح .

والبركة - أيها الإخوة والأخوات ! - كلها نفع وانتفاع ، فإسنادها إلى السَّحُورِ والسُّحُورِ يعني أن فيهما منافع عظيمة ، منها - كما في كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) ^(٤) لابن حجر العسقلاني رحمته الله - :

تحصيلُ أجر اتباع السُّنَّةِ ، والدعاء في وقت مستجاب ، والقوة على الصوم ، وتخفيف مشقته ، والزيادة في نشاط الصائم ، ودفعُ سوء الخُلُقِ عنه الذي يثيره الجوع ، وفيه مخالفة أهل الكتاب فإنهم لا يتسحرون ؛ قال رسول الله ﷺ : « فَصَلُّ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكَلَةُ السَّحَرِ » . أخرجه مسلم ^(٥) .

(١) برقم : ٣٤٦٧ .

(٢) برقم : ١٩٢٣ .

(٣) برقم : ٢١٦٢ ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وجهالته لا تضر بصحة الحديث ؛ لأن الصحابة كلهم عدول رضي الله عنهم .

(٤) يُنظر : ج ٤ ص ١٤٠ .

(٥) برقم : ١٠٩٦ ، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

وكانوا يسمون السحور في زمن النبوة بالفلاح^(١) ؛ استبشاراً بالفوز بإتمام الصوم ، وثبوت الأجر .

ومن الصائمين - مستمعي الأعراء! - من اعتاد على الكسب الحرام ، ولا يكاد يعجبه الحلال ، فيأتي رمضانُ ويمنعه من أكل الحلال والحرام معاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهذا يولّد في النفس اعتباراً ، فإذا ما اعتبر ، صاح بنفسه قائلاً: الآن كُشف أمرُك ؛ إذا كنت تصبرين على ترك الحلال والحرام معاً ؛ فاكثفاؤك بالحلال أهون عليك من ترك الاثنين معاً ، فلماذا لا تقنعين بالحلال وأنت على ذلك قادرة؟! وبذلك يقيم الحجة على نفسه ؛ فتقنع بالحلال ، وترضى به ، ولا تتعداه بإذن الله تعالى .

وكم عجبي كبير ، ودهشتي شديدة؟! ممن يأكل الحرام بعدما تكفل له ربه ﷻ من الرزق الحلال ما يكفيهِ إلى أن يموت ، وصدق الله ﷻ القائل في كتابه العزيز: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ: خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ». أخرجه ابن ماجه^(٢) ، وهو صحيح .

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجْلُهُ». ابن حبان^(٣) ، وإسناده جيد . فالرزق طالب ومطلوب في آن واحد ،

(١) كما في حديث الترمذي: ٨٠٦ .

(٢) برقم: ٢١٤٤ .

(٣) برقم: ٣٢٣٨ .

وسهام الرزق لا تخطئ هدفها بمشيئة الله تعالى ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :
« جاء سائل إلى النبي ﷺ ، فإذا تمرّة عائرة^(١) ، فأعطاه إياها ، وقال النبي ﷺ :
خذها ، لو لم تأتِها ، لأتتكَ » . أخرجه ابن حبان^(٢) ، وإسناده قوي .

ومن الصائمين من اعتاد التدخين ، وابتلي به أشد البلاء - عافانا الله ﷻ من كل بلاءٍ ومكروه - على ما في التدخين من ضرر عظيم في الصحة والمال والجلساء ، فيجيء شهر رمضان المبارك ، فيمنع المدخن من تلك العادة السيئة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهذا عامل مساعد جدًّا للإقلاع عنها نهائيًّا ! .

أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! لم يعد الوقت يسعفني لأن أقدم كلمة ناصحة للأخوة المدخنين ، أو أجري مع فطرهم وضمائرهم حوارًا هادئًا عبر الأثير ، راجيًّا من الله ﷻ خيرَه وبرّه ، ولكنني أعدكم - إن أحياني الله تعالى إلى الغد ، وأعاني ، وهذا ما أرجوه - أن أفعل ذلك في صدر حلقة الغد بإذن الله تعالى .

وإلى أن يحين ذلك أستودعكم الله ﷻ الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله ﷻ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد عبد الله ورسوله ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



(١) ساقطة لا يُعرف لها مالكٌ . ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٣ ص ٣٢٨ .

(٢) برقم : ٣٢٤٠ .

الحلقة الثالثة عشرة

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة ، وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! وكما وعدتكم في الحلقة السابقة ، فإنني أوجه هذه الكلمات الناصحة لأخوتنا المدخنين ، والتي لا أريد منها - والله تعالى يعلم - إلا الإصلاح ما استطعت إليه سبيلاً :

أيها الإخوة المدخنون ! إنني قارئ عليكم آياتٍ كريمةً من كتاب الله تعالى ، وأحاديثٍ ثابتةٍ من السنة النبوية المطهرة ، وأسألكم بعد كل آية وحديث سؤالاً تجيبون عليه في أنفسكم وفي قلوبكم :

أخي المدخن ! إن الله ﷻ يقول : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] . وإنني سألتك أيها المدخن : هل الدُّخان أو التبغ من الطيبات النافعة التي أحلها الله تعالى ، أم هو من الخبائث الضارة التي حرمها الله ﷻ ؟ ! وإنني لا أظن أبداً أن أحداً يعدُّ دخان التبغ أو السجائر من الطيبات بعدما شهد بخبثها الأطباء وأسرة المشافي .

أخي المدخن! إن الله تعالى يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. أليس في التدخين إسراف؟! ألا تحرص على أن تكون من أحباب الله ﷻ؟! إذن فلا تكوننَّ من المسرفين ، وأقلع عن التدخين ، واغتنم شهر رمضان ؛ فهو خير معينٍ على ذلك بعد الله تعالى .

أخي المدخن! إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ ، ٢٧]. أليس في التدخين تبذير وتضييع للمال الذي أَمَّنَكَ الله عليه؟! ألا يوجد في أسرتك وقربتك أو في مجتمعك من هو أحق بـ ثمن دخانك؟! .

أخي المدخن! لا شك أنك قرأت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] . وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] . أليس في التدخين - وبشهادة الأطباء - هلاكٌ تدريجي ، وقتلٌ بطيء للنفس البشرية؟! .

أخي المدخن! استمع إلى قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣] . أليس التدخين مما تأمر به النفس الأمَّارة بالسوء؟! فالتدخين - إذن - عادة سيئة .

أما الأحاديث الشريفة التي يمكن أن يدخل حكم التدخين في عمومها ، فإليكم بعضاً منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَلَا

يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ، وَلَا يُؤْذِنَا بِرِيحِ الثُّومِ». أخرجه مسلم^(١).

أخي المدخن! ألا ينبعث من التدخين رائحة كريهة تؤذي الجلساء؟! ورائحة التدخين تؤذي الملائكة أيضاً، وهم عباد صالحون؛ لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ؛ لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس ، فعن جابر رضي الله عنه قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْبَصْلِ وَالْكُرَاثِ ، فَعَلَبَتْنَا الْحَاجَةُ ؛ فَأَكَلْنَا مِنْهَا ، فَقَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُتْنِنَةِ ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَأْذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ الْإِنْسُ». أخرجه مسلم^(٢).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ». أخرجه البخاري^(٣). وفي التدخين إضاعة عظيمة للمال ، وقد تقدم فيه الكلام.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا ضَرَرَ ، وَلَا ضِرَارَ». أخرجه ابن ماجه^(٤)، وهو صحيح. أليس في التدخين ضرر بالنفس ، وضرر بالغير ، وهو الضرر؟! بلى والله. ألم تسمع أخي المدخن بالأضرار التي تصيب الذين لا يدخنون من جلسائك ، والتي تسمى بأضرار التدخين السلبي؟!.

أخي المدخن! إياك أن تدافع عن هذه العادة السيئة بعدما ظهرت لك الأدلة الشرعية فيها ، ولا تكن كبعض المدخنين – عافاهم الله تعالى – الذين يدافعون عن عادة التدخين ، ويحامون عنها ، ويهوّنون من ضررها ، ويجادلون فيها ، فمنهم من

(١) برقم: ٥٦٢.

(٢) برقم: ٥٦٣.

(٣) البخاري: ١٤٧٧.

(٤) برقم: ٢٣٤٠ ، والإمام أحمد: ٢٨٦٥ ، واللفظ له .

يقول: التدخين يهدئ أعصابي ، ولولاه لما تماكنت أعصابي ، لا في البيت ، ولا في الوظيفة ، وكأنه نسي قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] . فالذكر هو الذي يهدئ النفس ، ويطفى الغضب .

ودفاع المدخن عن تدخينه ، وجداله فيه هو - في نظري - من وحي الشيطان الذي لا يرضى له ترك التدخين ، والله ﷻ حذر من هذا اللون من الجدل ، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُواكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] .

واذكروا معي - معشر المدخنين! - يوم أن حرم الله ﷻ الخمر ، وأنزل فيه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ ، ٩١] . فماذا كان موقف الصحب الكرام ﷺ من هاتين الآيتين الكريمتين ، وهم الذين اعتادوا شرب الخمر اعتيادهم شرب الماء؟! ما كان منهم إلا أن قالوا: انتهينا ، إنه الإيمان - أيها الإخوة! - ، ولا شيء سواه ، ومن الإيمان بالله وحده تنبع الإرادة والتصميم .

وبعد ، فما عليكم - أيها المدخنون! - إلا أن تغتنموا هذه الأيام المعدودات ، أيام رمضان كي تُحرروا أنفسكم من رِقِّ التدخين ؛ فتكونوا بذلك من طلاب مدرسة رمضان الناجحين بإذن الله تعالى .

✻ أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات! لقد حان الوقت لأن أنتقل بكم إلى المادة التاسعة من مقررات مدرسة رمضان ، وهي (احترام الوقت): الوقت - أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات! - ظرف حياتنا ،

وحافظة أعمالنا، وهو أنفس موجود، وأعز مفقود، فهو سريع الانقضاء، وما مضى منه لا يعود، ولأجل هذا كان الوقت عند العقلاء أغلى من الذهب؛ لأن الذهب يُعوّض فواته، أما الوقت فإنه إذا فات مات!.

ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس - كما أنتم ترون - يدفعون الوقت دفعاً عجيباً، إن طال الليل فبحديث لا ينفع، وإن طال النهار فبالنوم، وفي أطراف النهار هم في الطرقات أو في الأسواق، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة، وهي تجري بهم وما عندهم خبر!.

وأما الذين عرفوا للزمان قدره، فهم قلة، وهم مشغولون في تعبئة الزاد، والتأهب للرحيل، جعلنا الله تعالى منهم.

والإسلام - أعزائي المستمعين الصائمين! - أولى الوقت عناية عظيمة، وأنزله المنزلة العالية، ودعا إلى اغتنامه، وقطف ثماره، وإذا كان الله ﷻ لا يُقسم بشيء من مخلوقاته إلا إذا كان ذاك المخلوق عظيم الشأن، عظيم النفع، فإنه - سبحانه - جعل الوقت محلاً لقسمه في كتابه العزيز، فقد أقسم بالليل والنهار، وبالفجر والصبح، وبالضحى والشفق، وأقسم بالعصر، الذي يشمل الزمان كله، فالله - سبحانه - قد قال مقسماً: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ۖ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ١، ٢]. وقال - سبحانه -: ﴿وَالْفَجْرُ ۖ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢]. وقال ﷻ: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]. وقال ﷻ: ﴿وَالضُّحَى ۖ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ١، ٢]. وقال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفَقِ﴾ [الانشقاق: ١٦]. وقال - تبارك اسمه -: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١].

ومن عناية الإسلام بالوقت أنه جعله شرطاً لأداء أهم العبادات في الإسلام، بل هي أركان الإسلام، فالصلاة والصوم والحج لها أوقات معلومة لا تصح إلا إذا

وقعت فيها ، وحتى الزكاة لا تجب في الذمة ما لم يمرَّ على المال سنة كاملة ، وهو الحَوْل عند الفقهاء .

ومن عناية الإسلام بالوقت أنه جعله في جملة ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ ؟ » . أخرجه الطبراني ^(١) بسند صحيح . فعمر الإنسان يعني زمان حياته ، والشباب بعض منه ، وهو مسؤول عنه يوم القيامة .

ومن عناية الإسلام بالوقت أنه جعله نعمة عظيمة جليلة تستوجب شكر واهبها ، وهو الله ﷻ ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ » . أخرجه البخاري ^(٢) .

فالسعيد الرابع الذي يملأ فراغه ، ويعمر وقته بالخير والطاعة ، والشقي الخاسر الذي يملأ فراغه بالشر والمعصية ، أو الذي يصرف وقته بغير منفعة .

ولا بد لنا - أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ! - أن نقف على أهم خصائص الوقت كي لا نجعله ؛ فنظلمه ونُضَيِّعَهُ ، وهذا ما سوف يكون في لقاء الغد إن شاء الله تعالى ، وإلى أن يحين ذلك أستودعكم الله تعالى ، الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله ﷻ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله على محمد عبد الله ورسوله ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) ج ٢٠ ص ٦٠ ، برقم : ١١١ . ذكر الهيثمي - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ج ١٠ ص ٣٤٦ - : أن رجاله رجال الصحيح غير صامت بن معاذ ، وعدي بن عدي الكندي ، وهما ثقتان .

(٢) برقم : ٦٤١٢ .

الحلقة الرابعة عشرة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، ويرد نِقمه ، وصلى الله على سيدنا وقدوتنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! انتهى بنا الحديث في لقاء الأمس عند خصائص الوقت ، وهو فرع من مادة (احترام الوقت) من مقررات مدرسة رمضان المعطاءة ! .

مستمعي الأعزاء ! يجب علينا جميعاً أن نقدر للوقت قدره ، وأن نعرف له فضله ، وأن نحيط بأهم خصائصه ، ومن جهل بالوقت كان له عدوٌّ ، وخسر بذلك خسراناً مبيئاً ! .

إن من خصائص الوقت - معشر الصائمين ! - أنه سريع الانقضاء ، وأن ما مضى منه لا يعود أبداً ، وفي سرعة انقضاء الوقت يقول الله سبحانه : ﴿ وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] . فعمر الإنسان ينقضي بسرعة السحاب ؛ لأن الإنسان يشارك الجبال في سيرها ، ولكنه لا يشعر بسرعتها ؛ لأنهما يسيران بسرعة واحدة ، وتجمعهما أرض واحدة ، بخلاف السحاب فإن حركته تبدو للعيان بسبب تفرُّق المكان . ويقول - جلَّ في علاه - في سرعة انقضاء الوقت أيضاً : ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات : ٤٦] .

(يحكى عن شيخ المرسلين نوح - على نبينا وعليه السلام - أنه جاءه ملك الموت ؛ ليتوفاه بعد أكثر من ألف سنة عاشها قبل الطوفان وبعده ، فسأله : يا أطول الأنبياء عمراً ! كيف وجدت الدنيا ؟ . فقال : كدارٍ لها بابان ، دخلت من أحدهما ، وخرجت من الآخر)^(١) .

أما أن ما مضى من الوقت لا يعود ، فهذا أمر محسوس ، قال الحسن البصري رحمته الله : (ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : أنا خلقٌ جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني ؛ فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة) . وقال أيضاً :

(ابن آدم إنما أنت أيام ، وكلما ذهب يومٌ ، ذهب بعضك)^(٢) ، وقال : (أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم)^(٣) .

أما ابن الجوزي رحمته الله فقد عاش تسعاً وثمانين سنة ، فقراً ما يزيد على عشرين ألف كتاب ، وألف ما يربو عن خمس مئة كتاب ، وقال يوماً لولده : (اعلم - يا بني ! - أن الأيام تُبسط ساعات ، والساعات تبسط أنفاساً ، وكل نفسٍ خزائنٌ ، فاحذر أن يذهب نفسٌ بغير شيء ؛ فترى في القيامة خزائنَ فارغةً ؛ فتندم)^(٤) .

أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! انتظار ما أنت مشتاق إليه يُشعرك بقيمة الوقت الفاصل بينك وبينه ، والناس يختلفون في أشواقهم وتطلعاتهم ، فمنهم الذي يشواق المعصية عافانا الله تعالى ، ومنهم من يشواق أمراً مباحاً ، ومنهم من يشواق الطاعة ، وما من أحدٍ إلا ويشعر بقيمة الوقت الفاصل بينه

(١) ياسر عبد الرحمن ، موسوعة الأخلاق والزهد والرفائق ، ج ٢ ص ٣٢١ . ويُنظر : الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٣ ص ٢٠٤ .

(٢) الإمام أحمد ، الزهد ، ص ٢٢٥ .

(٣) عبد الفتاح أبو غدة ، قيمة الزمن عند العلماء ، ص ٢٧ . ولم يعزّه ، ولم أجده في مصادر .

(٤) صيد الخاطر ، ص ٥٠٥ .

وبين ما يريد .

والنبي ﷺ أثنى على من كان شوقه إلى الصلاة لا يفارقه ، فتراه ينتظر الصلاة بعد الصلاة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ ! قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ؛ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ» . أخرجه مسلم ^(١) . وقوله ﷺ : «فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ» (يعني أنه من الرباط المرغَّب فيه ؛ لأنه قد ربط نفسه على هذا العمل ، وحبس نفسه عليه ...) ^(٢) .

ورمضان - أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ! - يوجه أشواق الصائمين إلى طاعة ربهم ﷻ ، فتراهم يقدِّرون الوقت ؛ لأجل تحصيل طاعة الإمساك فجرًا ، وطاعة الإفطار غروبًا ، وطاعة القيام عشاءً ، ولهذا نجد المسلمين في شهر الصوم أشدَّ ما يكونون مراقبةً وضبطًا للوقت ، وهم فيه أيضًا أكثر نظرًا في التقويم والساعة من باقي شهور السنة ، وبذلك يكون رمضان قد لَقِّنَ الصائمين درسًا في احترام الوقت ، واستغلاله في الطاعة .

وبالوقت - أيها الإخوة والأخوات ! - تُعرَف مدى استجابة المسلم لله ورسوله ، فمن آخر الصلاة عن وقتها لا يكون مستجيبًا لله ورسوله ﷺ ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وفي عبادة الصوم أيضًا تجد الوقت له دور بارز في تحديد هذه الاستجابة ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الْفِطْرَ» . أخرجه البخاري ^(٣) .

(١) برقم : ٢٥١ .

(٢) الباجي ، المنتقى شرح موطأ مالك ، ج ١ ص ٢٨٥ .

(٣) برقم : ١٩٥٧ .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّا - مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ - أُمِرْنَا أَنْ نُؤَخِّرَ سُحُورَنَا، وَنُعَجِّلَ فِطْرَنَا...». أخرجه ابن حبان^(١)، وإسناده صحيح.

فالتعجيل لمصلحة الإفطار، والتأخير لمصلحة السحور، وخيرية الأمة مرهونة بدقة الاستجابة لأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ، والأمة حتى لا تفوتها الخيرية تلك، يجب عليها ألا تتأخر عما حقه الاستعجال - وهو هنا الفطر -، ولا تتسرع عما حقه التأخير، وهو هنا السحور، فترى الصائم لا يفطر قبل الغروب ولو بدقيقة واحدة، ولا يأكل بعد طلوع الفجر ولو بدقيقة واحدة، وهذا كله يثبت مدى احترام المسلم للوقت، ومدى دقته في الاستجابة لأمر الله ﷻ.

أيها الإخوة الصائمون، والأخوات الصائمات، يا طلاب مدرسة رمضان! إن شهر رمضان يريد منا أن نحترم الوقت باعتباره ظرفاً تُحفظ فيه أعمالنا، ومعياراً تحسب على أساسه طاعاتنا: أو بتعبير آخر: رمضان يريد منك - أخي الصائم! - أن تستهلك الوقت بالطاعة، وأن يكون تقديرك للوقت بالطاعة أيضاً:

فأما استهلاك الوقت بالطاعة فواضح لا يحتاج إلى تبسيط، وأما تقدير الوقت بالطاعة فبحساب ما يمكن تحميله من الطاعات؛ كأن تقول على سبيل المثال: إن الدقيقة الواحدة تتسع لخمسين تسبيحة أو تكبيرة قبل أن تقول: إن الدقيقة ستون ثانية. وكأن تقول: إن الساعة الواحدة لكافية لتأدية صلاة التراويح، أو لتلاوة ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، والأمثلة في ذلك كثيرة.

وما أقوله هنا ليس من نسج الخيال، بل هو واقع خير القرون، ونظام متبع في زمن النبوة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ تَسَحَّرَا،

فَلَمَّا فَرَغَا مِنْ سَحُورِهِمَا ، قَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَصَلَّى . قُلْنَا لَأَنْسَ : كَمْ كَانَ بَيْنَ فَرَغِهِمَا مِنْ سَحُورِهِمَا وَدُخُولِهِمَا فِي الصَّلَاةِ ؟ . قَالَ : قَدَرُ مَا يَقْرَأُ الرَّجُلُ خَمْسِينَ آيَةً . وهو وقت الإمساك ، فقدَّره أنس رضي الله عنه بما يسع من طاعة التلاوة ، بما يقرأ الرجل خمسين آية ، والحديث أخرجه البخاري ^(١) .

فيا أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ! إنكم لتعلمون جيداً أن الغرب سَخَرُوا أوقاتهم لإعمار دنياهم ، فعمروها ، وكانوا لأجلها أحرص الناس على الوقت ! أما المسلمون فأين ذهبوا بأوقاتهم ؟ ! بإعمار دنيا ، أم بإعمار دين ؟ ! إلى الله المشتكى ، هو حسبنا ونعم الوكيل .

معشر الصائمين ! يجب علينا جميعاً أن نأخذ من رمضان درساً في شرف الزمان ، كي لا نضيّع منه لحظة واحدة في غير قُربة ، وعلينا أن نقدم الأفضل فالأفضل من الأعمال والأقوال ، ولتكن نيتنا في الخير قائمةً ، فإذا علم الإنسان أن الموت قاطعه عن العمل ، بالغ في الجِد ، وعمل في حياته عملاً يدوم له أجره بعد موته ، كأن يقف وقفاً ، أو يغرس غرساً ، أو يُجري نهراً ، أو يربي ولدًا ، أو يصنّف كتاباً نافعاً ؛ فإن كتاب العالم ولده المخلد ، كما قالوا ، وقديماً قالوا : قد مات قوم وهم في الناس أحياء ! فهم أحياء بماذا ؟ بثناء الناس عليهم على أعمالهم الخيرة ، وآثارهم المباركة .

❦ وبعد ، فالآن - مستمعي الكرام ! - تعالوا نطالع معاً آخر وأهمّ مادةٍ من

(١) البخاري : ٥٧٦ . وفي فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج ٤ ص ١٣٨ - : قال المهلب وغيره : فيه تقدير الأوقات بأعمال البدن ، وكانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال ، كقوله : قَدَر حلب شاة ، وقدر نحر جُزور ، فعدل زيد بن ثابت عن ذلك إلى التقدير بالقراءة ؛ إشارةً إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة ، ولو كانوا يقدِّرون بغير العمل ، لقال مثلاً : قَدَر درجةٍ أو ثلث خمس ساعة . وقال ابن أبي جمرة : فيه إشارة إلى أن أوقاتهم كانت مستغرقة بالعبادة .

مقررات مدرسة رمضان ، إنها المادة العاشرة ، إنها (الإخلاص):

الإخلاص - أيها الإخوة والأخوات! - سبب لقبول الأعمال عند الله تعالى ، ومن دونه ترد ولا تقبل ، قال الله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤] . وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: هـ] .

وفي أهمية الإخلاص في قبول توحيد المؤمن يقول رسول الله ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ؛ مَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ». حديث حسن ، أخرجه الترمذي^(١).

ويقول رسول الله ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». أخرجه البخاري^(٢).

وفي أثر الإخلاص في الدعاء ، وأنه يحقق للداعي ما لم يصل إليه بسعيه ، يقول رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ مُخْلِصًا، أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ». أخرجه الإمام أحمد^(٣) ، وهو صحيح .

ويعرّف الجرجاني رحمه الله الإخلاص ، فيقول: (الإخلاص في اللغة: ترك الرياء في الطاعات ، وهو في الاصطلاح: تخلص القلب عن الشوائب المكدرّة لصفائه ، وقيل: الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات . وتحقيقه: أن كل شيء يُتصوّر أن يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه ، وخلّص عنه ، يسمى: خالصاً... قال الله

(١) برقم: ٣٥٩٠ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) برقم: ٩٩ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) برقم: ٢٢١١٠ ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَّأً خَالِصًا﴾ [النحل: ٦٦] . فإنما خُلُوصُ اللبنِ ألاَّ يكون فيه شَوْبٌ من الفَرثِ والدمِ . وقال الفضيلُ بن عياضٍ رحمه الله : تركُ العملِ لأجلِ الناسِ رياءً ، والعملِ لأجلهم شركٌ ، والإخلاصُ : الخَلاصُ من هذين ، وألَّا تطلب لعملك شاهداً غير الله ^(١) .

أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! إذا كانت للإخلاص تلك الأهمية العظمى ، وذلك المقام العالي في الدين ، فهل من علاقةٍ تجمع بين الصوم والإخلاص ؟ .

هذا ما سوف أجيب عنه في لقاء الغد - بإذن الله تعالى - وإلى أن نلتقي أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله ﷻ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله على محمد عبد الله ورسوله ، وعلى آله وصحبه ، وسلّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة الخامسة عشرة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما
ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، ويا أيتها الأخوات المستمعات ! تذكرون
أننا انتهينا في الحلقة السابقة إلى السؤال الآتي : إذا كانت للإخلاص تلك
الأهمية ، وذلك المقام العالي في الدين ، فهل من علاقة تجمع بين الصوم
والإخلاص ؟ .

ومما يمكن قوله جواباً : لا شك أن الصوم والإخلاص بينهما علاقة محكمة ،
وإذا جاز لنا أن نشبه الإخلاص بالنهر ، فالصوم أعظم روافده .

أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ! كم من صائم خلا في بيته
على مقربة من طعامه وشرابه ، وهو يكابد الجوع والعطش ، فما يمنعه من إفساد
صومه إلا شعوره بأن الله تعالى مطلع عليه ويراه ، وهذا هو إحسان العبادة ، وأعلى
درجاتها ، فالإحسان - كما تعلمون - فوق الإسلام والإيمان ، كما جاء في حديث
جبريل المشهور والصحيح ، وكان مما فيه : « قَالَ ^(١) : مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ ^(٢) : أَنْ

(١) جبريل عليه السلام .

(٢) النبي صلى الله عليه وسلم .

تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ». أخرجه البخاري^(١).

فالصوم عبادة المخلصين ؛ لأنها خفية لا يطلع عليها أحد إلا الله تعالى ، فلا يدخلها الرياء ، بخلاف الصلاة والزكاة والحج ، وهي عبادات تظهر للعيان ، فقد يدخلها الرياء ، ويكون للناس منها نصيب ، إلا من رحم الله ﷻ .

ومما يؤكد أن الصوم ينمي في الإنسان مراقبة الله ﷻ ، والإخلاص له ، وصدق الولاء له - جل في علاه - ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَأَكَلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي...». أخرجه البخاري^(٢).

فقوله تعالى: «الصَّوْمُ لِي» الصوم لي . يحتمل معاني عدة ، أهمها^(٣):

أولاً - الصوم من أحب العبادات إلى الله تعالى ، إضافة الصوم إليه تعالى إضافة تشريف وتعظيم ، كما يقال: بيت الله ، وإن كانت البيوت كلها لله ، فالتخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يُفهم منه إلا التعظيم والتشريف .

ثانياً - استغناء الصائم عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب ﷻ ، فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته ، أضافه إليه ﷻ ، فأعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسبٌ لصفة من صفات الحق ، كأنه يقول سبحانه: إن الصائم يتقرب إليّ بأمرٍ هو متعلّق بصفةٍ من صفاتي .

ثالثاً - إن الصوم خالص لله تعالى ، وليس للعبد فيه حظٌ بخلاف غيره فإن له

(١) برقم: ٥٠ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) برقم: ٧٤٩٢ .

(٣) يُنظر: ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٤ ص ١٠٧ إلى ١١٠ .

فيه حظاً ؛ لثناء الناس عليه لعبادته ، فأعمال بني آدم لما كانت يمكن دخول الرياء فيها أضيفت إليهم ، وخصَّ الصيام ؛ لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله ، وإنما هو شيء في القلب لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ، وذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات إلا الصوم ، فإنما هو بالنية التي تخفى عن الناس ، ولا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله ؛ فأضافه الله ﷻ إلى نفسه ، وجميع العبادات تظهر بفعلها ، وقلَّ أن يسلم ما يظهر من رياء بخلاف الصوم ، فإن حال الممسك شَبَعاً مثل حال الممسك تقرباً ، يعني في الصورة الظاهرة .

واتفق العلماء على أن المراد بالصيام هنا - أي : في قوله تعالى : «الصَّوْمُ لِي» - هو صيامٌ من سَلِمَ صيامه من المعاصي قولاً وفعلاً ، وتحقق بمقررات مدرسة رمضان كلها ، وكان فيها من المجدين الناجحين .

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن الصوم قد يدخله الرياء بالقول - وليس بالفعل - ، كمن يصوم ، ثم يخبر بأنه صائم^(١) ، فقد يدخله الرياء من هذه الحثيثة ، فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار ، بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها .

ونخلص مما تقدم - مستمعي الكرام ! - إلى أن الصوم لا يكون إلا لله ﷻ ، ومن أجل الله ﷻ ، ومن كان مخلصاً مع ربه - سبحانه - لا بد أن يكون مخلصاً مع خلقه ، وفيّاً لهم ، وما أحوج الأمة - أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! - إلى أناس مخلصين يتفانون في أعمالهم : التاجر في متجره ، والمدرّس في مدرسته ، والطبيب في عيادته ، والقاضي في مجلسه ، والأب في أسرته ، والجندي في ثُكنته ، والراعي على رأس رعيته ، فالصوم يُصلح بواطن

(١) أي : من باب الرياء ، وإظهار الحال .

الصائمين ، ويحرر نواياهم من شوائب النفاق والرياء والخداع .

وبمادة الإخلاص نكون قد أنهينا موادّ مدرسة رمضان بحثاً ودراسةً ، فاز وأفلح من تحقق بها ، وكانت عشرًا ، أذكركم - مستمعي الأعزاء - بعناوينها: المادة الأولى: ثقافةٌ رمضانية . والثانية: صومُ البطن والفرج . والثالثة: صوم اللسان والجوارح . والرابعة: التوازنُ النفسيُّ مع النعمة وجوداً وعدماً . والخامسة: إرغام الشيطان . والسادسة: الهمة والنشاط . والسابعة: الجود والكرم . والثامنة: التحرر من قيد العادة . والتاسعة: احترام الوقت . والعاشر: الإخلاص .

والآن - يا طلاب مدرسة رمضان! - بعدما عَرَضْتُ عليكم أهم موادّ مدرسة رمضان أقف معكم مع مكافآت مدرسة رمضان ، في قراءة جديدة من نظام مدرسة رمضان الخيرة .

أيها الإخوة والأخوات! مكافآت مدرسة رمضان لطلابها الصائمين تبقى فوق كل ما يتصوره الصائمون في جمالها وجلالها وبركتها ، فعن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ. قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّيَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ». أخرجہ النسائي^(١) ، وهو صحيح . وكفى بالصوم شرفاً أن يكون كذلك .

ومما يدخل في عموم قوله ﷺ: «لَا مِثْلَ لَهُ» مكافآت رمضان للصائمين! . فمن منا - مستمعي الكرام! - يقدر على ضبط مكافآت رمضان وحصرها؟! ولكن ما لا يدركُ كلُّه لا يُتركُ قَلُّه ، والآن أعرض عليكم بعضاً منها وفق التقسيم الآتي:

لرمضان - أيها الإخوة والأخوات! - مكافآت دنيوية وأخرية مجتمعة ،

ومكافآت أخروية خالصة:

✽ أولاً - المكافآت الدنيوية والأخروية ، ومنها:

أ - التقوى:

مما يُؤثر في تعريف التقوى أنها: الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

ولعظيم شأن التقوى عند الله تعالى ، وجلالة قدرها ، فإنه ﷺ أمر بها عباده
أمرًا لازماً في أكثر من آية كريمة من كتابه العزيز ، فمن ذلك قوله ﷺ: ﴿ وَتَزَوَّدُوا
فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧] . وقوله - تعالى
ذكره - : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨] . وقوله ﷺ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾
[الحجرات: ١٣] .

ومما قاله رسول الله ﷺ في التقوى: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ...» . أخرجه
الترمذي^(١) ، وهو حسن صحيح .

ذلك شأن التقوى ، وهي ثمرة الصوم بلا ريب ولا شك ؛ قال الله تعالى:
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

فمن أراد أن يكون تقياً - ومن منا لا يريد؟! - ، فعليه بالصوم فإنه لا مثل
له! .

(١) برقم: ١٩٨٧ ، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

وهكذا خُتِمَت آية الصوم بالفعل المضارع (تَتَّقُونَ) الذي لم يُسَمَّ مفعولُهُ ؛
 ليفيد عموم التقوى ؛ فبالصوم تتقون جميع ما يضركم في دينكم ؛ لأن الصوم أغض
 للبصر ، وأحصن للفرج ، كما ورد في الحديث الصحيح .

وبالصوم تتقون ما يضركم في أبدانكم ، فبه تصح الأبدان ، شهد بذلك الطب
 قديماً وحديثاً .

وبالصوم تتقون ما يضركم في دنياكم ، فالمجتمعات تنهض بأبنائها الأقوياء ،
 والصوم يقوِّيهم ، ويبعث فيهم نشاطاً في الإبداع والإنتاج .

وبالصوم تتقون ما يضركم في آخرتكم ، والضرر فيها أشدُّ الضرر ، ويشهد له
 قول رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا الصَّيَامُ جُنَّةٌ ، يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ ... » . أخرجه
 الإمام أحمد^(١) ، وإسناده حسن .

ومعنى «الصَّيَامُ جُنَّةٌ» أي : سِتْرٌ ووقاية ؛ لأن النار محفوفة بالشهوات ،
 والصوم يُلْجِمُهَا ، فكان بذلك وقايةً للصائم من النار ، أعاذنا الله ﷻ منها ، ومن
 كل مكروه .

ب - إجابة الدعاء :

ومن المكافآت الدنيوية والأخروية لمدرسة رمضان أن دعاء الصائم
 مستجاب ، سواء أكان دعاؤه لمصلحة دنيوية عاجلة ، أم لمصلحة أخروية آجلة ،
 يدل عليه قول النبي ﷺ : « ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ : دَعْوَةُ الصَّائِمِ ، وَدَعْوَةُ
 الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ » . أخرجه البيهقي - في شُعَبِ الْإِيمَانِ^(٢) - ، وهو صحيح .

(١) برقم : ١٥٢٦٤ ، عن جابر رضي الله عنه .

(٢) برقم : ٣٣٢٣ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ومن بين آيات صوم رمضان آيةٌ تبشر الصائمين بإجابة دعائهم ، وفيها يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

هذا والله تعالى أعلم ، وإلى لقاء الغد أستودعكم الله تعالى ، وتقبل الله ﷻ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة السادسة عشرة

الحمد لله وليّ الصالحين، والصلاة والسلام محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

سبحانك، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين!.

وبعد، فيا أيها الإخوة المستمعون الصائمون، والأخوات المستمعات الصائمات! تناولت معكم في الحلقة السابقة المكافآت الدنيوية والأخروية مجتمعة، والتي تمنحها مدرسة رمضان لطلابها المجدين، فكان منها: التقوى، وإجابة الدعاء. ومن المكافآت الدنيوية والأخروية لمدرسة رمضان:

ج - ابتهاج الصائم بصومه:

الحمد لله الذي أعقب الطاعات بالمسرات تأييداً لها، وأعقب المعاصي بالחסرات تنفيراً منها، وصدق الله القائل: ﴿أَقَمَنَّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَلَيْسَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]. والقائل - سبحانه -: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وكان مما قاله رسول الله ﷺ في الصلاة: «يَا بَلالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا!». أخرجه أبو داود^(١)، وهو صحيح. فالمسلم يستريح بالصلاة؛ لما فيها من

(١) برقم: ٤٩٨٥، عن صحابيٍّ خُزاعي، وجهالة الصحابي لا يُضَعَّف بها الحديث؛ لأن الصحابة عدول ﷺ.

مناجاة لله ﷻ ، ولما فيها من تفرغ للقلب مما سواها من شواغل الدنيا .

وقال رسول الله ﷺ في الصلاة أيضاً: «... وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» .
أخرجه النسائي^(١) ، وهو صحيح . وما أقرب الراحة من قُرَّة العين ! .

والصائم يسعد بصومه في الدنيا والآخرة ، فبالدنيا يفرح عند كل فطر على ما أعانه الله تعالى عليه من صيام ، وعلى ما رزقه من شراب وطعام ، أما في الآخرة فيفرح بقبول صومه ، وبثوابه المدخر له عند الله تعالى ، فيجده عظيماً جزيلاً ، يليق بغنى الرحمن ومنه وكرمه .

ونبينا محمد ﷺ كان قد بشر الصائمين بنيلهم البهجة والسرور في الدنيا والآخرة ، وذلك في قوله: «إِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ ، فَجَزَاهُ ، فَرِحَ» . حديث متفق عليه^(٢) .

وفي الحديث لطيفة أخرى ، وهي أن المسلم يفرح إذا ما أطاع ، ويحزن إذا ما عصى ، والدنيا عند أهل الإيمان لا يحزن إدبارها ، ولا يفرح إقبالها ، وفي القرآن الكريم ما يؤكد هذا ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨] . ومما فسرت^(٣) به الآية الكريمة أن فضل الله هو الإسلام ، ورحمته القرآن ، وهما نعمتان جليلتان يفرح بهما المسلم ، وهما خير مما يجمع الكفار من الأموال .

ورسولنا محمد ﷺ يجعل من أمارات الإيمان الكامل الفرح بالطاعة ، والندم عند المعصية ، فهو يقول - عليه صلوات ربي وسلامه - : «إِذَا سَرَّكَ حَسَنَتُكَ ،

(١) النسائي: ٣٩٤٠ ، عن أنس بن مالك ﷺ .

(٢) البخاري: ١٩٠٤ ، ومسلم - واللفظ له - : ١١٥١ ، عن أبي هريرة ﷺ .

(٣) يُنظر: ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج ٢ ص ٣٣٥ .

وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ» . أخرجه الإمام أحمد^(١) ، وهو صحيح .

وأما الفرح بما لا يستحق أن يُفرح به ، أو الفرح الذي يحمل صاحبه على البطر ، فهو الفرح المذموم بنص الكتاب العزيز ، قال الله ﷻ : ﴿ لَا تَفْرَحْ بِإِتِّ اللَّهِ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦] .

أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ، إليكم الآن بعضاً من المكافآت الأخروية التي تقدمها مدرسة رمضان لطلابها المجدين :

✽ المكافأة الأولى - عِظَمُ الأجر :

يخضع تعامل العبد مع الرب لنظام إلهي عادل ، يمكن تلخيصه بإيجاز على النحو الآتي :

تُصَرَفُ الأعمال الصالحة - وهي التي توافق الشرع ، ويحسن معها القصد - ، تصرف إلى حسناتٍ ، تُدَّخَرُ في رصيد العبد ؛ لِيُعْلَنَ عنها يوم القيامة والحساب ، والحسنة لها ثَقْلٌ معلوم ، يقدِّره ميزان هو في دقته يزن الذرة ، بل الأصغر منها ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] . وقال ﷻ : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴾ [الزلزلة: ٧ ، ٨] . ويقول الله ﷻ : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١] .

ومن خصائص الحسنة أنها قابلة للنمو والتكاثر والمضاعفة بفضل الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] . وقال

(١) أحمد: ٢٢١٦٦ - واللفظ له - ، وابن حبان: ١٧٦ ، عن أبي أمامة رضي الله عنه .

سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]
 فالحبة الواحدة غدت سبع مئة حبة ، وكذلك الحسنه ، وبعد هذا كله ، يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ . أي: وفوق السبع مئة هناك مضاعفة أخرى .

أما المعاصي فتتقلب إلى سيئاتٍ توضع في رصيد العبد العاصي ، وتوزن عليه يوم الحساب ، ومن خصائص السيئة أنها لا تنمو ولا تتكاثر - وهذا من رحمة الله ﷻ بعباده - إلا إذا كانت متعدية الضرر ، وهي التي تبقى بعد وفاة صاحبها ، وتدعى بالسنة السيئة ، أو السيئة الجارية ، ومن أمثلتها أغنية هابطة ، تحفظ في شريط أو ملف صوتي ، فهذه تزيد في رصيد السيئات ما بقيت ، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا ، وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» . أخرجه مسلم^(١) .

ويوم الحساب تكون المقاصة بين الحسنات والسيئات بذلك الميزان الإلهي ، حيث توضع الحسنات في كفة ، والسيئات في الكفة الثانية ، والكفة الأثقل هي التي تقرر مصير العبد: إلى الجنة ، أو إلى النار ، أعاذنا الله تعالى منها ، ويشهد لهذه المقاصة أدلة كثيرة ، منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] .

وفي السنة المطهرة ما يؤكد العكس من ذلك أيضاً ، بمعنى أن السيئات

(١) برقم: ١٠١٧ ، عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

تُذهبن الحسنات ، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فُتِنَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ؛ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». أخرجه مسلم^(١).

ولكن لا بد هنا من التنبيه إلى أنه ليس هناك ذنب أكبر من الكفر، وأن سيئة الكفر تستأصل الحسنات مهما عظمت، ولا تُبقي منها شيئاً، ولذلك كان الكافر مُستثنى من تلك المُقاصّة، وليس أمامه إلا النار وبئس المصير، والقرآن أكد هذا بكل وضوح، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]. وقال أيضاً ﷺ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

ويعلم مما تقدم أن للحسنة دوراً مهماً جداً في تقرير مصير المسلم، فحسنة واحدة تبقى بعد المُقاصّة تُدخل صاحبها الجنة، وسيئة واحدة تبقى بعدها تُدخل صاحبها النار، نسأل الله العافية والسلامة.

وإذا ما علم المسلم ذلك، فإنه لن ينسى لرمضان فضله، ولن يُنكر له قدره، ولسوف يفرح بقدومه، ويتألم على فراقه، كما كان شأن سلفنا الصالح، فالحسنات التي يجنيها الصائم في رمضان هي فوق العدِّ والإحصاء، والحال أشبه ما يكون برصيدٍ مفتوح بيد مالك الملك، وأغنى الأغنياء، وأكرم الكرماء، يكتب فيه لعبده

(١) برقم: ٢٥٨١، عن أبي هريرة ؓ.

الصائم ما يشاء من الحسنات!.

وفي بيان أجر الصائم يروي أبو هريرة رضي الله عنه هذا الحديث القدسي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قَالَ اللَّهُ ﷻ : كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ : فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ (إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ) ، (وفي رواية : «إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ») إِلَّا الصَّيَامَ هُوَ لِي ؛ وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » . أخرجه أحمد^(١) ، وأصله في البخاري .

ولك أن تتساءل - أخي المستمع ، وأختي المستمعة! - ، فتقول : كيف يقول الله تعالى : الصيام لي وأنا أجزي به . مع أن الأعمال كلها له ، وهو الذي يجزي بها ؟.

والجواب^(٢) : المراد بقوله «وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» أنني أنفرد بعلم مقدار ثواب الصوم وتضعيف حسناته ، وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس ، وقد كشفت مقادير ثوابها للناس ، وأنها تُضاعَف من عشرة إلى سبع مئة إلى ما أشاء إلا الصيام فإني أُثيب عليه بغير تقدير .

أيها الإخوة والأخوات ، إذا قال الله الكريم : أنا أتولى الإعطاء بنفسي ، كان في ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه ، ولهذا فإن الصائم يقبل بثواب الصوم وإن كان مُبْهَمًا ، ما دام المُثِيب عليه ربًّا غنيًّا كريماً ، ولهذا أيضاً يفرح الصائم إذا لقي الله كما جاء في حديث أبي هريرة ، الذي سبق ذكره .

وبذلك يكون معنى قوله تعالى : «وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» أن الحسنات يُضاعَف جزاؤها من عشرة أمثالها إلى سبع مئة ضِعْفٍ ، إلا الصوم فلا يضاعف إلى هذا

(١) برقم : ١٠٥٤٠ ، ويُنظر لما بين () : ٩٣٦٣ ، ٩٧١٤ - واللفظ له - ، والبخاري : ١٨٩٤ .

(٢) يُنظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٤ ص ١٠٨ .

القدر ، بل ثوابه لا يُقدَّر قدره ولا يُحصيه إلا الله تعالى ، ولذلك يتولى الله جزاءه بنفسه ، ولا يَكُلُّه إلى غيره .

والآن أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ، لكم أن تتصوروا كم لصوم رمضان من ثَقَلٍ في ميزان حسناتكم ، بعد ما تكلمت بشيء من التفصيل عن ميزان الأعمال ! .

هذا والله تعالى أعلم ، وإلى لقاء الغد أستودعكم الله تعالى ، وتقبل الله منكم ومننا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة السابعة عشرة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد ،
وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هديه ، ونصر سُنَّته إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما
ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته ، لا زلت أتابع معكم مكافآت مدرسة رمضان الأخروية ، ففي
الحلقة الماضية كانت مكافأة عِظَم الأجر أولى المكافآت ، واليوم نقف مع مكافآت
أخرى ، أسأل ربي - بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی - أن يجعلنا من أهلها .

* المكافأة الثانية - غفران الذنوب :

وأكرم بها من مكافأة ، فالذنوب شقاء في الدنيا ، وعذاب في الآخرة ، أما
أنها شقاء في الدنيا ، فلأن الله ﷻ ما حرم علينا شيئاً إلا لضرر فيه ، إن في المال
أو في البدن ، أو فيما سواهما ، فالقمار - مثلاً - يبدد المال ، ويُفسد الأخلاق ،
والزنا يأتي بالوباء ، وهلمَّ جرّاً . وأما في الآخرة فالذنوب سبب لدخول النار
وغضب الجبار ، جل في علاه .

وما هذه النار التي لا يبالي بها الغافلون ، ولا يحذرها الفاسقون ؟! يصف
النبي ﷺ النار يوماً ، فيقول : «نَارُكُمْ هَذِهِ - الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ - جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ
جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ . قَالُوا : وَاللَّهِ ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : فَإِنَّهَا فَضِّلْتُ

عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا». أخرجه مسلم^(١).

ولكن ما دور رمضان مع الذنوب الموجبة للنار؟ لنُصْغِ مستبشرين إلى أبي هريرة رضي الله عنه، وهو يحدثنا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حديثًا يقول فيه: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». أخرجه البخاري^(٢).

وهذا - مستمعي الأفاضل! - ليس بالأمر القليل؛ فصوم رمضان تمحى به الذنوب، ولو كان هذا وحده لكان خيرًا كثيرًا. كيف، وقد علمنا في الحلقة السابقة أن ثواب صيام رمضان لا يعلمه إلا الله تعالى؟! ولا زلنا نذكر قول ربنا - سبحانه - في الحديث القدسي: «الصَّيَّامُ لِي؛ وَأَنَا أَجْزِي بِهِ». أخرجه البخاري^(٣).

فالأمر الذي يدفع صائم رمضان إلى الاستبشار حقًا حقًا أنه يخرج من رمضان بذنب مغفور، وأجر مبرور، فمثله كمثله رجل استدان من رجل ألف دينار، فلما حل أجل الوفاء، وهمَّ المدين بالقضاء، إذا بصاحب الدَّيْن يقول له: سامحتك بالألف، وإليك ألفًا فوقها هبةً مني إليك! كيف ستكون حاله؟! ومثالي هذا للتقريب ليس أكثر، والله المثل الأعلى.

ولكن - مستمعي الكرام! - أي الذنوب التي يغفرها الله ﷻ للصائمين في رمضان؟

تعلمون أن الذنوب منها صغائر، ومنها كبائر، قال الله تعالى: ﴿إِنْ جَحَّتْ بُرُءُ كَبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. فالآية فرّقت بين كبائر الذنوب وبين السيئات، فأفادت أن السيئات

(١) البخاري: ٣٢٦٥، ومسلم: ٢٨٤٣ - واللفظ له -، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم: ٣٨.

(٣) برقم: ١٨٩٤، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

في الآية هي صغائر الذنوب . وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم: ٣٢] . فالآية الكريمة أثبتت أن من الذنوب ما يكون من كبائر الإثم ، ومنها ما يكون من اللمم ، وهو من غير كبائر الإثم ، فدل على أنه من صغائر الإثم .

والفرق بين صغائر الذنوب وكبائرها ، أن كل ذنب أثبت له الشرع عقوبة حد في الدنيا - كالسرقة ، والزنا ، وشرب الخمر - ، أو وعيداً في الآخرة بالعذاب أو اللعن أو الغضب فهو من كبائر الذنوب ، وإلا فهو من صغائرها .

وثمة فرق آخر بين الكبائر والصغائر ، فالصغائر تُغْفَرُ بالعمل الصالح تلقائياً ، يُعلم هذا من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤] ، وقول رسول الله ﷺ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ، تَمْحُهَا...» . أخرجه الترمذي^(١) ، وهو حسن صحيح .

أما الكبائر فلا بد لغفرانها من توبةٍ وندمٍ وعزمٍ على عدم العودة إليها . قال ابن علان رحمه الله: (والذي عليه جمهور العلماء أن صالح العمل لا يكفر الكبائر ، إنما يكفرها التوبة ، أو فضل الله تعالى)^(٢) .

وفي السنة النبوية حديث صحيح يبين نوع الذنوب التي تُغْفَرُ بصوم رمضان ، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ ؛ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» . أخرجه مسلم^(٣) .

(١) برقم: ١٩٨٧ .

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، ج ٢ ص ٣٧١ .

(٣) برقم: ٢٣٣٠ .

والمعنى المتبادر من سياق الحديث أن صوم رمضان يكفر ما قبله من صغائر الذنوب ، إذا ما اجْتُنِبَت الكبائر ، بأن لا يكون الصائم واقعاً في كبيرة لم يتب منها ، وهذا القيد أو الشرط يصعب التحرز منه ، وخصوصاً إذا علمنا أن الغيبة والنميمة من الكبائر ، ولا يسلم منهما إلا القليل .

ولكن ألا يحتمل هذا الحديث معنى آخر؟ وهو أن صوم رمضان يكفر الصغائر مطلقاً ، أما الكبائر فتنتظر من فاعلها التوبة الصادقة ، وهذا الاحتمال ذهب إليه أكثر العلماء ، بعدما جمعوا أدلة هذه المسألة ، ووفقوا فيما بينها ، قال النووي رحمته الله : (ليس المراد أن الذنوب [يعني الصغائر] تُغْفَر ما لم تكن كبيرةً ، فإن كانت لا يُغْفَر شيء من الصغائر ، فإنَّ هذا وإن كان محتملاً فسياق الأحاديث ياباه)^(١) .

أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ! ومن المكافآت الأخروية التي تقدمها مدرسة رمضان إلى طلابها المجدين :

✽ المكافأة الثالثة - خُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» . أخرجه البخاري^(٢) . ويراد بخُلُوف فم الصائم : تغير طعم فمه وريحه ؛ لتأخر الطعام بسبب الصيام .

ومما قاله العلماء في معنى الحديث : (إن الله تعالى يجزي الصائم في الآخرة ، فتكون نكهته أطيب من ريح المسك عند الناس ، كما يأتي المَكْلُوم - وهو المجاهد الجريح - وريح جرحه تفوح مسكاً)^(٣) . كما ثبت في الصحيح^(٤) ، عن

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٣ ص ١١٢ .

(٢) برقم : ١٨٩٤ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٤ ص ١٠٦ .

(٤) البخاري : ٥٥٣٣ .

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلِمُهُ»^(١) يَدْمَى: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ مِسْكِ».

ومما قاله العلماء أيضاً: (صاحب الخُلُوف عند الله أطيبُ، وأكثرُ قبولاً ووجاهةً، وأزيدُ قرباً منه تعالى من صاحب المسك بسبب ريحه عندكم، وهو تعالى أكثرُ إقبالاً عليه بسببه من إقبالكم على صاحب المسك بسببه)^(٢).

أرايتم - مستمعي الكرام! - إلى عاقبة الطاعة؟! فلما كان تغيرُ رائحة الفم سببه طاعة الصوم، كانت عاقبته مسكاً، كما هو حال دم الشهيد والجريح في سبيل الله ﷻ.

ومن المكافآت الأخروية التي تُقدمها مدرسة رمضان إلى طلابها المجدين:

* المكافأة الرابعة - باب في الجنة للصائمين حصراً:

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرِّيَّانَ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ». أخرجه البخاري^(٣)، وفي رواية النسائي^(٤): «مَنْ دَخَلَ فِيهِ شَرْبٌ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا». ومن هنا جاءت تسميته بالرِّيَّانَ، وهو من الرِّيِّ ضد الظمأ أو العطش، وهو مناسب لحال الصائمين، فإنهم لما صبروا على ظمأ الصوم، أرواهم الله في الآخرة.

وفي الحديث أيضاً إشارة إلى أن الظمأ أشقُّ على الصائم من الجوع؛ لأن تسمية الباب بالرِّيَّان مناسب لأحوال العطاش أكثر مما يناسب أحوال الجياع.

(١) جُرِّحَهُ.

(٢) يُنْظَرُ: السندي، شرح سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٥٠٢.

(٣) برقم: ٣٢٥٧.

(٤) برقم: ٢٢٣٦.

وقد يسأل سائل فيقول: أهل الجنة لا يظمؤون من أي أبوابها دخلوا، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: ١١٩].

والجواب: (من دخل الجنة من باب الريان لا يظماً من أول ما دخله، والداخلون من سائر الأبواب يرتفع عنهم الظماً من حيث استقرارهم فيها، ووصولهم إلى منازلهم المُعدّة لهم، والله تعالى أعلم^(١)).

ولسائل أن يسأل فيقول: صوم رمضان ركن من أركان الإسلام، وقليل من المسلمين من يُسيء ويُفطر، فما هو وجه اختصاص الصائمين على كثرتهم باب الريان؟.

والجواب: إن الحديث يتناول الصائمين منذ أن شرع الصوم إلى أن تقوم الساعة، فقد يأتي زمان يكثر فيه الفساد، ويقل فيه الصائمون، وهذا أولاً.

ثانياً - كلمة (الصائمون) في قوله ﷺ: «لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ» بدئت بأل العهدية، فأفادت أن هؤلاء عُرفوا بكثرة صيامهم، قال السندي رحمه الله: (قوله: «... الصَّائِمُونَ» أي المكثرون الصيام، كالعادل والظالم يقال لمن يعتاد ذلك، لا لمن يفعل ذلك مرة، والظاهر أن الإكثار لا يحصل بصوم رمضان وحده، بل بأن يزيد عليه ما جاء فيه أنه صيام الدهر، والله تعالى أعلم بحقيقة الأمر^(٢)). يريد صيام ستة أيام من شوال، أو ثلاثة أيام من كل شهر، ونحو ذلك.

هذا، والله تعالى أعلم، وللحديث بقية تأتي في حلقة الغد بإذن الله ﷻ وإلى أن يحين ذلك أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه، وتقبل الله ﷻ منا

(١) يُنظر: السندي، شرح سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٥٠٢.

(٢) المكان نفسه.

الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة الثامنة عشرة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين .

اللهم! لا سهل إلا ما جعلته سهلاً؛ فإنك إذا شئت جعلت الحزن سهلاً، سهل لنا أمورنا، واشرح صدورنا، واهد قلوبنا، وسدد ألسنتنا .

وبعد، فيا أيها الإخوة المستمعون، والأخوات المستمعات! لا زلت أحدث إليكم عن المكافآت الأخروية، التي تُكرم بها مدرسة رمضان طلابها الناشطين، فكان منها في الحلقات السابقة: عِظم الأجر، وغفران الذنوب، وخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وباب في الجنة للصائمين حصراً، وها هي اليوم تمنح طلابها المجدين مكافآتٍ أُخر، منها:

✽ المكافأة الخامسة - شفاعة الصوم للصائمين:

ودليل هذه المكافأة ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ: يَقُولُ الصَّيَامُ: رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَيُشَفِّعَانِ». أخرجه الحاكم^(١)، وصححه، ووافقه الذهبي .

وفي الحديث دلالة ظاهرة على فضل الصيام، وتلاوة القرآن عموماً، والأصح أن المراد بالصيام هنا صيام رمضان، وتلاوة القرآن صلاة القيام أو

التهجد، ويُستدل عليه من قوله ﷺ: «وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ»، والصلاة تسمى قرآنًا لكثرة ما يتلى فيها من القرآن الكريم، فصلاة الفجر سمّاها القرآن الكريم قرآنًا، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقوله ﷺ: «يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ»: دليل على أن الأعمال تتجسد يوم القيامة، والأدلة على ذلك كثيرة، فالصوم وتلاوة القرآن أو ثوابهما يتكلمان ويشفعان، أي يطلبان من الله ﷻ قبول شفاعتهما فيمن كان شُغل بهما في الحياة الدنيا، وأن الله ﷻ يقبل شفاعتهما فيه، ويُدخله الجنة.

والآن أنتقل بكم إلى المكافأة السادسة من المكافآت الأخروية لمدرسة رمضان، وهي:

* المكافأة السادسة - من مات صائماً دخل الجنة:

عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ خُتِمَ لَهُ بِصِيَامٍ يَوْمٍ، دَخَلَ الْجَنَّةَ». أخرجه أحمد^(١) والبخاري، وهو صحيح.

ومعنى الحديث: أن من مات وهو صائم، أو بعد فطره من صومه، دخل الجنة، لقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ». أخرجه البخاري^(٢). ولقوله أيضاً ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ». أخرجه مسلم^(٣).

ولعل سائلاً يقول: كل من يموت على الإسلام يدخل الجنة، كمن مات

(١) برقم: ٢٣٣٢٤، والبخاري: ج ٧ ص ٢٧٠، رقم: ٢٨٥٤، واللفظ له.

(٢) برقم: ٦٦٠٧، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) برقم: ٢٨٧٨، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

على صلاة، أو زكاة، أو حج، وغيرها من الأعمال الصالحة، فما هي - إذن - الميزة التي يمتاز بها الصوم عن غيره من العبادات؟.

والجواب: لا شك أن دخول الجنة عاقبة كل مسلم، ولكن هناك فرق كبير بين دخول ودخول، فمن الناس من يدخل الجنة بعد حساب، ومنهم من يدخلها بعد عقاب - عياداً بالله تعالى -، ومنهم من يدخلها مع المتأخرين، ومنهم الذي يدخلها مع السابقين وأول الداخلين، فالذي يموت صائماً، لا بد أن يكون دخوله الجنة دخولاً طيباً مميّزاً، تصديقاً لبشارة النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف.

أيها الإخوة الصائمون، والأخوات الصائمات! إليكم الآن سابع المكافآت الأخروية، التي تُتحف بها مدرسة رمضان طلابها المتفوقين، إنها:

✽ المكافأة السابعة - عِتْقُ للرقاب من النار مع كل وجبة إفطار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ! وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ». أخرجه الترمذي^(١)، وهو صحيح.

وموضع الشاهد من الحديث الشريف - وهو الدليل على هذه المكافأة - قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ». وقوله ﷺ: «لِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ» أي: والله عتقاء كثيرون من النار، اللهم اجعلنا منهم يا ذا الجلال والإكرام.

وقوله ﷺ: «وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ». (أشار بقوله: «ذَلِكَ» إما للجملة الأبعد من اسم الإشارة، وهي جملة النداء، ويكون تقدير الكلام: أن نداء المنادي - وهو ملك في الأغلب -: «يَا بَاغِي الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِي الشَّرِّ أَقْصِرْ!» يتكرر في كل ليلة من رمضان. وإما يكون للجملة الأقرب من اسم الإشارة، وهي قوله ﷺ: «وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ»، ويكون تقدير الكلام أن عِتَقَ الرقاب في رمضان يتكرر في كل ليلة منه^(١).

لكن ثمة رواية للحديث اقتضرت على ذكر عتق الرقاب، وأنه يكون في كل ليلة من رمضان، مما جعل الاحتمال الثاني لدلالة اسم الإشارة «ذَلِكَ» هو المراد، أو هو أرجح الاحتمالين، والله تعالى أعلم، وإليكم - أيها الإخوة والأخوات! - نص الرواية: عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ ﷻ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عِتْقَاءً». أخرجه الإمام أحمد^(٢)، وهو صحيح لغيره.

وبناءً عليه، فإنه يُحْمَلُ نداء المنادي: «يَا بَاغِي الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِي الشَّرِّ أَقْصِرْ!» يحمل على أنه يكون أول دخول شهر رمضان، حينما تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار.

ولمَّا القاري رحمته الله تعليق طيب على هذه الجملة من الحديث، فهو يقول: (ولعل طاعة المطيعين وتوبة المذنبين ورجوع المقصرين في رمضان من أثر النداءين، ونتيجة إقبال الله تعالى على الطالبين^(٣))، ولهذا ترى أكثر المسلمين صائمين حتى الصغار والجواري، بل غالبهم الذين يتركون الصلاة يكونون حينئذ مصلين مع أن الصوم أصعب من الصلاة، وهو يوجب ضعف البدن الذي يقتضي

(١) يُنْظَرُ: المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، ج ٣ ص ٢٩٣.

(٢) برقم: ٢٢٢٠٢.

(٣) على طالبي الخير، أخذاً من: «يَا بَاغِي الْخَيْرِ» في الحديث الشريف.

الكسل عن العبادة، وكثرة النوم عادةً، ومع ذلك ترى المساجد معمورة، وبإحياء الليالي مغمورة، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١).

أيها الإخوة الصائمون، والأخوات الصائمات! بهذا نكون قد فرغنا من عرض مكافآت مدرسة رمضان الدنيوية والأخروية.

ولم يبق لنا إلا نقف على عقوباتها، شأنها في ذلك شأن جميع المدارس، وهذا ما ينسجم مع طبيعة البشر، فمن البشر من ينقاد للحق بالترغيب، ومنهم الذي لا ينقاد إلا بالترهيب، وهذا المبدأ يُعَدُّ الأساس في نهوض الأمم، وقيام الدول خير القيام، وهذا ما أقره الدين الإسلامي، بل الأديان السماوية قاطبةً، ألم يقل الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]. فالبرق قد يأتي بالصواعق والفيضانات المخيفة، وقد يأتي بالأمطار النافعة، وبذلك يكون توجه المؤمن إلى خالقه بالخوف تارةً، وبالطمع والرغبة تارةً أخرى.

ولقد أثنى الله تعالى على الذين يدعونه خوفاً من عذابه، وطمعاً في ثوابه، فقال عز من قائل: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. وقال أيضاً ﷺ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الانباء: ٩٠].

مستمعي الأكارم! إن المتتبع لنصوص القرآن الكريم ليجد أن الله ﷻ رغب المسلمين إن هم تمسكوا بدينهم بنوعين من الترغيب: أحدهما أخروي، والثاني دنيوي، والأدلة على ذلك كثيرة جداً، فمن الأدلة على الترغيب الأخروي قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ

مُتَشَبِّهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٢٥﴾ .

ومن أدلة الترغيب الدنيوي قول الله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿[النور: ٥٥]﴾ . وفي الآية وعد ظاهر بنصر المسلمين ، وتمكينهم في الأرض ، وقيام دولتهم ، كما قامت من قبل ، إذا ما صدقوا بإيمانهم ، وأصلحوا أعمالهم .

وكما رغب الله المسلمين الصالحين بنوعين من الترغيب ، فإنه - سبحانه - أَرَهَبَهُم بنوعين من الترهيب إذا ما هم ضلوا السبيل ، وَتَنَكَّبُوا عن الصراط المستقيم ، أما الترهيب الأول فهو الأخروي ، والأدلة عليه كثيرة جداً منها قول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿[التحریم: ٦]﴾ .

وأما الترهيب الدنيوي ، فهي العقوبات التي شرعها الإسلام زجراً لكل من تُسَوَّلُ له نفسه نشر الفساد في الأرض ، كقول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[المائدة: ٣٨]﴾ . وقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[النور: ٢]﴾ .

ولهذا كله كان في مدرسة رمضان نظام عقوبات ، كما لها نظام مكافآت ، ولو لم يكن لها ذلك ، لوجدنا كثيراً من الناس ممن رَقَّ إيمانهم ، وفسدت ضمائرهم لا يعبؤون برمضان ، ولا يعرفون له حرمة! .

فما هي - إذن - عقوبات مدرسة رمضان؟

هذا ما سوف يكون جوابه في حلقة الغد بإذن الله ﷻ ، وإلى أن يحين ذلك أستودعكم الله تعالى ، الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله ﷻ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة التاسعة عشرة

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين !.

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! كما علمنا من قبل أن العقوبات في الإسلام منها ما يكون في الآخرة ، ومنها ما يكون في الدنيا . فما هي العقوبات التي تفرضها مدرسة رمضان على من فرط أو قصر فيها ؟ .

✽ أولاً - العقوبات الأخروية :

ومنها عقوبةٌ يتعرض لها المفطرون في عالم البرزخ ، وهو الذي يمتد من موت الإنسان إلى يوم البعث قبل الحساب ، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ^(١) ، فَأَخَذَا بِضَبْعَيْ^(٢) ، فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعَرًّا ، فَقَالَا لِي : اصْعَدْ . حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ^(٣) الْجَبَلِ ، فَإِذَا أَنَا

(١) أي : ملكان في صورة رجلين .

(٢) الضَّعْعُ : وسط العَصْد . ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٣ ص ٧٣ . ما بين المرفق والكتف .

(٣) سواءُ الجبل : ذُرْوَتُهُ . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٤ ص ٤١٦ .

بَصَوْتٍ شَدِيدٍ؛ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟. قَالَ: هَذَا عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيهِمْ^(١)، مُشَقَّقَةً أَشَدَّاقُهُمْ^(٢)، تَسِيلُ أَشَدَّاقُهُمْ دَمًا، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟. فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطَرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ...». أي: قبل أن يحل لهم الإفطار، أخرجه ابن حبان^(٣)، وإسناده صحيح.

وهذه العقوبة - عقوبة المفطر عمداً - أشبه ما تكون بالشاة المذبوحة التي يعلّقها الجزار: قدمها من فوق، ورأسها من أسفل، أجارنا الله ﷺ من عذابه وسخطه، وهذا قبل دخوله النار.

* ثانيًا - العقوبة الدنيوية:

وأما العقوبة الدنيوية التي يتلقاها المفطر من غير عذر، فهي على التفصيل الآتي:

من أفطر رمضان جاحداً بفرضيته فهو كافر حلال الدم، ما لم يتب؛ لأنه أنكر ما علم من الدين بالضرورة، ودلت عليه الأدلة القطعية المشتهرة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويقوم بتنفيذ هذه العقوبة وليُّ أمر المسلمين أو نائبه، كالقاضي ومن في حكمه.

أما من ترك صوم رمضان كسلاً، أو دناءةً نفسٍ، وهو مؤمن بأنه فرض من فرائض الإسلام، فهذا فاسق يُعزّره القاضي بما يراه زاجراً له ولأمثاله، كأن يحبسّه، ويمنع عنه الطعام والشراب النهار كله؛ حفاظاً على حرمة شهر رمضان،

(١) العُرْقُوب: العَصَبُ الغليظ المُوَثَّرُ، فوق عَقَبِ الإنسان. ابن منظور، لسان العرب، مادة: عرقب. ومن العرقوب تعلق الدابة منكسة لسليخها.

(٢) أفواهم.

(٣) برقم: ٧٤٩١.

وبذلك يكون قد شارك الصائمين صومهم ، بلا أجر ولا ثواب إلا أن يتوب ، ويُبيّت نية الصيام .

أيها الإخوة الصائمون ، أيتها الأخوات الصائمات ! أكون بما قدمت من حلقات قد عرضت عليكم جانباً مهماً من نظام مدرسة رمضان المباركة ، بما فيها من مقررات ، ومكافآت ، وعقوبات .

ولكن بقيت أمور من المهم بيانها ، ويكثر التساؤل عن كثير منها ، وخصوصاً في العشر الأواخر من رمضان ، فرأيت أن أتكلم عنها فيما بقي من حلقات ، ويمكن إلحاق ما يأتي فيها في المادة الأولى من مقررات مدرسة رمضان ، وهي (ثقافة رمضان)، التي مرت سابقاً .

ومما يتساءل عنه الإخوة الصائمون في شأن ليلة القدر :

هل يُعرَف وقت ليلة القدر على وجه التحديد ؟ .

هل لليلة القدر علامة تعرف بها ؟ .

هل هناك دعاء مأثور في ليلة القدر ؟ .

أذكركم أيها الإخوة والأخوات ! بأنه سبق لي حديث في فضل ليلة القدر ، وثواب إحيائها ، وذلك في بعض الحلقات السابقة^(١) ، ولا أريد هنا أن أعيد ما سبق بيانه .

أما سؤال : هل يُعرَف وقت ليلة القدر على وجه التحديد ؟ .

فوقت ليلة القدر ، غير معروف على وجه الدقة ، لكن للعلماء فيه اجتهادات ،

(١) حلقات إذاعية أخرى غير حلقات : رمضان مدرسة ، فأين طلابها ؟ ! .

نعم كان النبي ﷺ يعلمه ، ثم نُسيه لحكمة يعلمها الله تعالى ، واجتهد فيها العلماء كذلك .

أما أن النبي ﷺ كان يعلم وقتها ، فلما ثبت في صحيح مسلم^(١) من قول رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهَا كَانَتْ أُبَيِّنْتُ لِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَإِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِهَا، فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحْتَقَانِ مَعَهُمَا الشَّيْطَانُ؛ فَنَسِيَتْهَا...». وهذا من شؤم الخصام والاختلاف ؛ لأن معنى يَحْتَقَانِ: يختصمان ، ويطلب كل واحد منهما حقه .

لكن النبي ﷺ عَزَّى المسلمين بارتفاع علمه بها ، فقال في حديث آخر: «وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ». أخرجه البخاري^(٢) .

ومما قاله العلماء في الحكمة من إخفاء وقتها: قالوا: (لاستلزامه مزيد الثواب ؛ لكونه سبباً لزيادة الاجتهاد في التماسها ، بخلاف ما لو عُيِّنَتْ لها ليلة لاقتصر عليها ، وإنما حصل ذلك الخير - في رفع علمها - ببركة^(٣) الرسول ﷺ ، وإن كان عدم الرفع أزيد خيراً ، وأولى منه ؛ لأنه متحقق فيه)^(٤) .

ولقد صح بالأحاديث الثابتة أن ليلة القدر في وتر العشر الأواخر من رمضان ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «قَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ^(٥)، ثُمَّ أَنْسِيَتْهَا، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صَبِيحَتِهَا، فَالْتِمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَالْتِمِسُوهَا فِي كُلِّ وَتْرٍ. فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَكَانَ

(١) برقم: ١١٦٧ ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) برقم: ٤٩ ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٣) لقوله ﷺ: «وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ» ، فكان الخير في إخفائها ببركة رجائه ﷺ .

(٤) يُنظر: ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١ ص ١١٤ ، وج ٤ ص ٢٦٦ .

(٥) أي: ليلة القدر .

الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ^(١)؛ فَوَكَّفَ الْمَسْجِدُ، فَبَصُرْتُ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ مِنْ صُبْحِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ^(٢). أخرجَه البخاري.

وأما سؤال: هل لليلة القدر علامة تعرف بها؟.

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ - يَخْلُفُ مَا يَسْتَنِي^(٣) -، وَوَاللَّهِ، إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ: هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرْنَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا، هِيَ لَيْلَةُ صَبِيحَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيَضاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا». أخرجَه مسلم^(٤).

وفي الترمذي^(٥): «أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهَا لَيْلَةُ صَبِيحَتِهَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ».

وفي رواية أبي داود^(٦): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُصْبِحُ الشَّمْسُ صَبِيحَةً تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِثْلَ الطُّسْتِ، لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ حَتَّى تَرْتَفِعَ».

وإذا كانت علامة ليلة القدر لا تظهر إلا في الصباح، وبعد مُضيِّها وانقضائها، فما الفائدة من تلك العلامة؟ فائدتها: (أَنْ يَشْكُرَ عَلَى حُصُولِ تِلْكَ النِّعَةِ إِنْ قَامَ بِخِدْمَةِ اللَّيْلَةِ [أَيَّ بِأَحْيَائِهَا]، وَإِلَّا فَيَتَأَسَّفُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ، وَيَتَذَكَّرُ فِي

(١) قال الآبادي: عريش: أي على مثل العريش، وإلا فالعريش هو السقف. أي أنه كان مظلاً بالخصوص والجريد، ولم يكن محكم البناء؛ بحيث يُكْنُ من المطر. وفي رواية: «وكان السقف من جريد النخل» [البخاري: ٦٦٩]. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج ٤ ص ١٨٢.

(٢) برقم: ٢٠٢٧.

(٣) أي: جازماً بدون استثناء.

(٤) برقم: ٧٦٢.

(٥) برقم: ٧٩٣، وقال: حسن صحيح.

(٦) برقم: ١٣٧٨، حسن صحيح.

السَّنة الآتية ، وإنما لم يجعل [لها] علامة في أول ليلها إبقاءً لها على إبهامها^(١) .

قال ابن حجر رحمه الله في كتابه: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحت باب: تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ، قال: (وأرجح الأقوال كلها أن ليلة القدر في وترٍ من العشر الأخير ، وأنها تنتقل^(٢) ، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلةٌ إحدى وعشرين ، أو ثلاثٌ وعشرين . . . ، وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين)^(٣) .

تقدم في الأحاديث السابقة بعضٌ من علامات ليلة القدر التي تظهر بعدها ، كنزول المطر ، وطلوع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع .

أما في وقتها ليلاً فقد تظهر بعض العلامات الخاصة من باب الكرامة ، كظهور أنوار ، أو سماع تسليم الملائكة أو رؤيتهم ، ولكن ذلك ليس بشرط ، فقد يوافقها من لا يرى شيئاً من تلك الأمور ، ويدعو ويستجاب له ، قال ابن المنير رحمته الله: (. . . النبي ﷺ لم يحضر العلامة ، ولم ينفِ الكرامة ، وقد كانت العلامة في السَّنة التي حكاها أبو سعيدٍ [الخُدريّ رحمته الله] نزول المطر ، ونحن نرى كثيراً من السنين ينقضي رمضان دون مطر ، مع اعتقادنا أنه لا يخلو رمضان من ليلة القدر .

ومع ذلك فلا نعتقد أن ليلة القدر لا ينالها إلا من رأى الخوارق ، بل فضل الله واسع ، ورُبَّ قائمٍ تلك الليلة لم يحصل منها إلا على العبادة من غير رؤية خارق ، وآخر رأى الخارق من غير عبادة ، والذي حصل على العبادة أفضل ، والعبرة إنما هي بالاستقامة ؛ فإنها تستحيل أن تكون إلا كرامةً ، بخلاف الخارق

(١) المباركفوري ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، ج ٣ ص ٤٢٥ .

(٢) أي بين أوتار العشر الأواخر من رمضان .

(٣) يُنظر: ج ٤ ص ٢٦٦ .

فقد يقع كرامةً ، وقد يقع فتنةً ، والله أعلم^(١) .

وأما سؤال : هل هناك دعاء ماثور في ليلة القدر ؟ .

فجوابه حديثٌ لأُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، قالت : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، مَا أَقُولُ فِيهَا ؟ . قَالَ : قُولِي : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ ؛ فَأَعْفُ عَنِّي » . أخرجه الترمذي^(٢) ، وهو حسن صحيح .

فمن أحيا ليلة القدر له أن يدعو بهذا الدعاء ، أو بغيره من الأدعية الماثورة في غير ليلة القدر ، وله أن يدعو بما يشاء من خيري الدنيا والآخرة ، والله تعالى أعلم .

وإلى لقاء الغد أستودعكم الله تعالى ، الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله تعالى منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليمًا كثيرًا ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



(١) اقتبسه ، المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٢٦٧ .

(٢) برقم : ٣٥١٣ ، حسن صحيح .

الحلقة العشرون

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات! كنت قد ذكرت في مادة (الجود والكرم) أن صدقة الفطر درس إلزامي في الكرم في حق كل مكلف يملك من القوت ما يكفيه يوماً وليلة ، واليوم أتناول معكم - بإذن الله تعالى - بعضاً من أحكام صدقة الفطر ، وبعضاً من حكمها^(١) .

* أولاً - ما حكم صدقة الفطر؟ .

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن صدقة الفطر واجبة ، ولهم في ذلك أدلة منها: ما أخرجه البخاري^(٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ - صَاعًا مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ - عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ» . (وكان فرضها في السنة الثانية من الهجرة ، في رمضان قبل العيد بيومين)^(٣) .

والأصل في صدقة الفطر أنها تجب في مال المسلم إذا بلغ نصاباً ، سواء

(١) يُنظَر: الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج ٢٣ ، ص ٣٣٥ إلى ٣٤٥ .

(٢) برقم: ١٥٠٣ .

(٣) المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ج ٤ ص ٦٣ .

كان المالك صغيراً أم كان كبيراً، ذكرًا كان أو أنثى، فإن لم يكن ذا مال أداها عنه وليه، أو من تلزمه نفقته. ونقل ابن المنذر الإجماع^(١) على أن زكاة الفطر لا تجب على الجنين.

❖ ثانيًا - ما هو نصاب زكاة الفطر؟.

أما نصاب زكاة الفطر الذي به تجب في ذمة المسلم، فهو - عند جمهور الفقهاء - ما زاد عن قوت المسلم، وقوت من في نفقته ليلة العيد ويومه، ولو لم يملك نصاب زكاة المال؛ لأن زكاة الفطر زكاة البدن، بخلاف زكاة المال فهي تتعلق بالأموال.

❖ ثالثًا - ما مقدار صدقة الفطر؟.

مقدار صدقة الفطر صاع من غالب طعام أهل البلد عن كل نفس، والصاع كَيْلٌ سَعْتُهُ ثَلَاثَةُ أَلْتَارَ، (وإنما قُدِّرَ بالصاع؛ لأنه يُشْبِعُ أهل البيت، ففيه غُنْيَةٌ مُعْتَدَّةٌ بها للفقير، ولا يتضرر الإنسان بإنفاق هذا القدر غالبًا)^(٢).

والطعام يختلف باختلاف البلاد، فغالب الطعام في زمن النبوة - كما دلت عليه الأحاديث الشريفة - كان من التمر، والشعير، والزبيب، والأَقِط - وهو اللبن المجفف -، والسُّلْت: (وهو نوع من الشعير، يشبه القمح)^(٣).

ومن الفقهاء من أجاز إخراج قيمة صدقة الفطر مالاً نقدياً؛ تغليياً لمصلحة الفقراء، ومنعه الجمهور؛ لعدم ورود دليل في ذلك، ولأن حديث ابن عباس رضي الله عنه

(١) الإجماع، ص ٥٧.

(٢) الدهلوي، حجة الله البالغة، ج ٢ ص ٦٨.

(٣) يُنْظَر: السُّنْدِي، حاشية السُّنْدِي على سنن النسائي، ج ٥ ص ٥١. وفي الأصل: البُر بدل القمح، ومعناها واحد.

ذَكَرَ بِأَنَّهَا «طُعْمَةٌ لِّلْمَسَاكِينِ»^(١) مِنَ الطَّعَامِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

❖ رابعاً - على من توزَّع زكاة الفطر ؟ .

يجوز عند جمهور الفقهاء توزيع زكاة الفطر على الأصناف الثمانية الذين ورد ذكرهم في آية الزكاة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠] .

وخصَّ بها بعض الفقهاء الفقراء والمساكين ليس غيرهم ، وذلك ؛ لأن حديث ابن عباس رضي الله عنه صرح بأنها طُعْمَةٌ للمساكين .

❖ خامساً - متى يدخل وقت وجوب زكاة الفطر ، ومتى ينتهي ؟ .

أما وقت وجوبها فأكثر الفقهاء على أن أوله يبدأ من غروب شمس آخر يومٍ من رمضان ، فهي لا تجب على من مات قبله ، ولا على من وُلد بعده ، ومن الفقهاء من ذهب إلى أن أول وقت وجوبها طلوعُ الفجر ، والخلاف بينهما يسير ، وإن اسمها يشعر بوقتها ، فقولنا: زكاة الفطر . فيه إضافة الزكاة إلى وقت وجوبها ، وهو الفطر ، وهذا يكون بانتهاء شهر رمضان المبارك ، ولذلك عرفها الفقهاء بأنها: صدقة تجب بالفطر من رمضان .

وأما آخر وقت وجوبها فقبل خروج الناس من صلاة العيد ، لما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَّقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِّنَ الصَّدَقَاتِ» . والحديث حسن ، أخرجه أبو داود^(٢) .

(١) أبو داود: ١٦٠٩ ، حسن ، كما تقدم .

(٢) الحديث نفسه .

وبعض الفقهاء جَوَّز دفع زكاة الفطر في أي يوم من رمضان، لكن الأفضل أن تكون قريبة من يوم العيد؛ كي يستمتع بها الفقير في أيام العيد، ولا يتحسّر إذا ما رأى الأغنياء من حوله يتقبلون بالنعمة في تلك الأيام.

والسنة أن تؤدّى بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «كَانَ يَأْمُرُ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ قَبْلَ الْغَدْوِ لِلصَّلَاةِ يَوْمَ الْفِطْرِ». أي لصلاة العيد^(١)، والحديث أخرجه مسلم والترمذي^(٢)، واللفظ له.

✽ سادساً - كيف تؤدّى زكاة الفطر؟.

يجوز أن تدفع زكاة الفطر من المتصدق إلى الفقير يدّاً بيد، والسنة أن تكلف الدولة جُباةً يقومون بجمعها قبل وقت وجوبها - أي قبل العيد - بيوم أو يومين، أو ثلاثة أيام، ثم يحفظونها في مكان يعلم به الفقراء؛ ليقصدوه ليلة العيد أو فجره، ففي صحيح البخاري: «كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا، وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ». أخرجه البخاري^(٣).

ومعنى قوله: (يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا): أي الذين يُنصّبهم الإمام لقبضها، وهم الجباة، وفي رواية مالك في الموطأ^(٤) «أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما كَانَ يَبْعَثُ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ إِلَى الَّذِي تُجْمَعُ عنده قَبْلَ الْفِطْرِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً».

وفي صحيح البخاري أن ذلك كان من فعل النبي ﷺ، وأنه كان يجعل على

(١) عند ابن خزيمة - ٢٤٢٣ -، وأحمد - ٦٣٨٩ - «قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الْمُصَلَّى»، صحيح.

والمصلى مكان لصلاة العيد.

(٢) مسلم: ٩٨٦، والترمذي: ٦٧٧.

(٣) برقم: ١٥١١.

(٤) ج ١ ص ٢٨٥، والبيهقي: ٧٣٦٩.

المكان الذي تُجَمَّع فيه زكاة الفطر حارساً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ...»^(١).

وفي رواية للحديث أخرجها البخاري تعليقاً^(٢) في أول كتاب الوكالة من صحيحه، جاء فيها أن حراسة أبي هريرة رضي الله عنه دامت ثلاثة أيام، فدل هذا على المقصود.

* سابعاً - هل يجوز إخراجها إلى غير البلد الذي وجبت فيه؟

الأصل في الزكاة أن توزع في البلد الذي وجبت فيه، ما لم يستغن أهلها عنها، وحينئذ يجوز بالاتفاق نقلها إلى بلد آخر فيه فقراء، ويدل على هذا الأصل قول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِياً أَوْ وَالِيّاً: «... أَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ». أخرج البخاري^(٣).

ورخص بعض الفقهاء بنقلها إلى بلد آخر، ولو كان بعد مسافة القصر؛ لصلته رحم أو قريب، أو لوجود من هو أحوج.

* ثامناً - ما حكم تأخيرها عن وقت وجوبها؟

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن زكاة الفطر يُستحب أدائها من غروب آخر يوم من رمضان إلى صلاة عيد الفطر، ويجوز أدائها في نهار العيد، (فمن أداها بعد يوم العيد بدون عذر كان آثماً، واتفق جميع الفقهاء على أنها لا تسقط بخروج

(١) البخاري: ٣٢٧٥.

(٢) بل دل عليه حديث مرفوع في البخاري: ٢٣١١، وفيها ما معناه أن الشيطان كان يحثو من طعام صدقة الفطر وهو بصورة رجل محتاج في ثلاث ليالٍ قبل العيد.

(٣) برقم: ١٣٩٥.

وقتها ؛ لأنها وجبت في ذمته لمن هي له ، وهم مستحقوها ، فهي دين لهم لا يسقط إلاّ بالأداء ؛ لأنها حقٌ للعبد ، أمّا حق الله في التأخير عن وقتها فلا يُجبر إلاّ بالاستغفار والندامة^(١) .

والأحوط أن يؤديها المسلم ليلة العيد اتباعاً للسنة ، وليسلم من معارضة حديث ابن عباس رضي الله عنه الذي حذر من تأخيرها ، فهو يقول : «مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ» . حديث حسن ، أخرجه أبو داود^(٢) .

✽ تاسعاً - ما الحكمة منها ؟ .

أما الحكمة من زكاة الفطر ، فقد صرح فيها حديث ابن عباس رضي الله عنه حيث قال : «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ...»^(٣) .

وللعلماء^(٤) في الحكمة من زكاة الفطر أقوال :

فقوله : (طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ) : أي تطهيراً لذنوبه من اللغو ، وهو الباطل من القول ، أو ما لا يعني منه ، والرفث : هو الفحش من الكلام . وهذا لأن الحسنات يذهبن السيئات .

قال الزمخشري : صدقة الفطر زكاة ، إلا أن بينها وبين الزكاة المعهودة أن

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج ٢٣ ، ص ٣٤١ .

(٢) برقم : ١٦٠٩ ، حسن .

(٣) الحديث نفسه .

(٤) يُنظر : القارّي ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ٤ ص ١٢٩٩ ، وابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٣ ص ٢٦٩ ، والدهلوي ، حجة الله البالغة ، ج ٢ ص ٦٨ ، والمناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ج ٤ ص ٦٣ .

تلك تجب طهراً للمال ، وهذه طهراً لبدن المؤدي كال كفارة .

وهي أيضاً طهراً للصائمين ؛ لأن فيها تكميلاً لصومهم ، فهي بمنزلة سنن الرواتب في الصلاة .

وتمسك بقوله : (طَهْرَةٌ لِلصَّائِمِ) من لم يوجب الفطرة على الأطفال ؛ لأنهم إذا لم يلزمهم الصيام ، لم يلزمهم طهرته ، والأكثر على إيجابها عليهم ، ولعلمهم نظروا إلى أن علة الإيجاب مركبة من الطهارة والطعمة معاً رعايةً لجانب المساكين . . . أو أن ذكر التطهير خرج على الغالب ، كما أنها تجب على من لم يذنب كمتحقق الصلاح ، أو من أسلم قبل غروب الشمس بلحظة .

وقوله : «و طَعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ» أي إغناء لهم في مثل هذا اليوم ؛ ليشهدوا صلاة العيد فارغي القلب ، وليكون قوتهم يوم العيد مهياً ، وفي ذلك تسوية بين الفقير والغني في وجدان قوت ذلك اليوم .

والفقير يوم العيد يشعر ببر الأغنياء به وصلتهم له ، فلا يجد نفسه محروماً والأغنياء من حوله يأكلون ويتمتعون ، وهذا من شأنه أن يجعل المجتمع المسلم أكثر تماسكاً ، وأقوى لحمة بإذن الله تعالى .

وإلى لقاء الغد أستودعكم الله تعالى ، الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله مني ومن الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة الحادية والعشرون

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة ، وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً ، وفقهاً في الدين يا ذا الجلال والإكرام!.

وبعد ، فيا أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات! ها هي شمس رمضان قد آذنت بالأفول ، وها هو رمضان يتأهب للرحيل ، أتدرون من الخسران؟! .

الخسران ذاك الذي لم يحسن ضيافة رمضان أولاً ، ثم هو لم يحسن وداعه آخرًا ، وإننا لا ندري ما هو قائل لربه غداً؟! أيشهد لنا ، أم يشهد علينا؟! .

اللهم ، يا ذا الجلال والإكرام! كما أعنتنا على طاعتك في أول رمضان ووسطه ، فأدمها علينا ، وزدنا منها في خاتمته ، ولا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، واختم لنا فيه وللمسلمين كافةً بالخير والفتح المبين يا أرحم الراحمين! .

أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات! ها هو عيد الفطر قد أقبلت أيامه ، فهو الآن يستعد لاستقبال طلاب مدرسة رمضان ، وتهنئتهم بتخرجهم منها بصيام مبرور ، وذنب مغفور بإذن الله ﷻ .

ولا تحسبوا - مستمعي الكرام! - أن العيد ليست فيه أنشطة في عبادة

الرحمن ﷻ ، لا ، فهو كرمضان المبارك ، له برنامج حافل بالفعاليات المباركة ،
فما علينا إلا نؤديها بعد أن نتعرف عليها ، كي نصل فوز رمضان بفوز شوال بعون
الله تعالى .

فما هي الأمور التي يُشرع فعلها في ليلة عيد الفطر أولاً ؟ . ثم ماذا يشرع فعله
في نهار العيد ثانياً ؟ .

والآن أبدأ بعرض أهم ما يُشرع فعله ليلة عيد الفطر إلى قبيل صلاة العيد ،
فمن ذلك :

* إخراج زكاة الفطر: وهذه قد فصلت فيها القول في حلقة الأمس ، ومن
ذلك أيضاً :

* الإكثار من التكبير :

والتكبير: ثناء على الله تعالى باسمه الكبير ، والكبير^(١) : الذي له الكبرياء ،
وجميع وجوه التعظيم في ذاته وأسمائه وصفاته ، وله الكبرياء في قلوب أهل
الأرض والسماء ، وله جميع معاني التعظيم من خواص خلقه .

وذكر اسم الله الكبير في أكثر من آية كريمة ، فمن ذلك قول الله ﷻ : ﴿ عَلِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩] . وقوله ﷻ : ﴿ ذَالِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا
دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاَلْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾
[غافر: ١٢] .

وتكبير الله تعالى مشروع في كل الأحوال ، كما هو مشروع في أحوال خاصة ،

(١) يُنظر: عبد الرحمن السعدي ، تفسير أسماء الله الحسنى ، المدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية ،
العدد ١١٢ ، السنة ٣٣ ، ١٤٢١ هـ ، ص ١٦٦ .

كالتكبير الوارد في أذكار الصلاة ، وأذكار النوم ، والأذان ، وعند صعود ما علا من الأرض ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرْفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ ... » . أخرجه البخاري ^(١) . والشرف : المكان العالي . وقوله : « قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ » أي : رجع .

وعنه أيضاً رضي الله عنه : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ ، كَبَّرَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ... » . أخرجه مسلم ^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : « أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسَافِرَ ؛ فَأَوْصِنِي ! قَالَ : عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرْفٍ » . أخرجه الترمذي ^(٣) ، وهو حسن .

أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! هذه الأحاديث النبوية تُظهر مشروعية التكبير عند صعود المرتفعات ، بغيراً كان المرتفع ، أو جبلاً ، أو سيارةً ، أو طائرةً ، وما إليه ، فما الحكمة من هذا التكبير ؟ .

يقول المباركفوري رحمته الله : (مناسبة التكبير عند الصعود إلى المكان المرتفع أن الاستعلاء والارتفاع محبوب للنفوس ؛ لما فيه من استشعار الكبرياء ، فُشِّرَ لمن تلبَّس به أن يذكر كبرياء الله تعالى ، وأنه أكبر من كل شيءٍ ، فيكبرُّه ؛ ليشكر له ذلك ؛ فيزيده من فضله) .

وقبل أن نقف - مستمعى الأجزاء - على حكمة التكبير في العيد لا بد من

(١) برقم : ١٧٩٧ .

(٢) برقم : ١٣٤٢ .

(٣) برقم : ٣٤٤٥ .

أن نقف على دليل مشروعيته:

فمن أدلة مشروعية التكبير في العيد - والحديث هنا عن عيد الفطر - قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ - كما أفاد الإمام الطبري (رحمه الله) - (أن يصوم ما أفطر من رمضان في سفرٍ أو مرضٍ [إلى] أن يُتِمَّهُ، فإذا أتمَّهُ، فقد أكمل العدة...

أما قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم﴾ فمعناه: ولتعظموا الله بالذكر له؛ بما أنعم عليكم به من الهداية التي خذل عنها غيركم من أهل الملل، الذين كُتِبَ عليهم من صوم شهر رمضان مثل الذي كتب عليكم فيه، فضلوا عنه بإضلال الله إياهم، وخصَّكم بكرامته، فهداكم له، ووفقكم لأداء ما كتب الله عليكم من صومه...

والذكر الذي حصَّهم الله ﷻ على تعظيمه به التكبير يوم الفطر... فالتكبير من حين يرى الهلال حتى ينصرف الإمام [من صلاته]، ويكون في الطريق والمسجد، إلا أنه إذا حضر الإمام، كف فلا يكبر إلا بتكبيره.

وكان ابن عباس (رضي الله عنه) يقول: حَقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِذَا نَظَرُوا إِلَى هَلَالِ شَوَالٍ، أَنْ يَكْبِرُوا اللَّهَ حَتَّى يَفْرَغُوا مِنْ عِيدِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى ذِكْرَهُ - يَقُولُ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا

الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمُ ﴿١﴾.

وفي السنة دليل آخر على استحباب التكبير في العيد ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ كان يخرج في العيدين رافعاً صوته بالتهليل والتكبير...». أخرجه البيهقي - في شعب الإيمان ^(٢) - ، وهو حسن .

كما أخرجه البيهقي مفصلاً في السنن الكبرى ^(٣) ، وهذا لفظه: عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه ، «كان رسول الله ﷺ يخرج في العيدين مع الفضل بن عباس ، وعبد الله بن عباس ، وعلي ، وجعفر ، والحسن ، والحسين ، وأسامة بن زيد ، وزيد ابن حارثة ، وأيمن ابن أم أيمن رضي الله عنه رافعاً صوته بالتهليل والتكبير... حتى يأتي المصلي...». والحديث صحيح .

ومن هذا الحديث الشريف استحباب جمهور الفقهاء رفع الصوت بتكبير العيد في أسواق الناس وأنديتهم وأماكن تجمّعهم .

فالنبي ﷺ كان يخرج إلى المصلي لأداء صلاة العيد ، ويُخرج معه ذويه وخاصته من أهله: صغارهم ، وكبارهم ، وكان النبي ﷺ وقتئذٍ يرفع صوته بالتكبير ، فهل يُعقل - والحال هذه - أن يكون موكبه المبارك صامتاً؟! .

والصحابه الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - وهم أشد الناس اتباعاً للسنة ، هل يسعهم حين يرون النبي ﷺ رافعاً صوته بالتكبير أن لا يرفعوا أصواتهم بالتكبير؟! . فاقضى الحال أن المدينة المنورة كانت ترتج بأصوات المكبرين ليلة العيد وصباحه .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٣ ص ٢٢٠ و ٢٢١ .

(٢) برقم: ٣٤٤١ . يُنظر في تحقيقه: الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٤٩٣٤ .

(٣) برقم: ٦١٣٠ . يُنظر: الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١٧١ .

هذه هي سُنَّة التكبير في العيد ، فأين المسلمون منها اليوم ؟! .

ولعل سائلاً يسأل عن الحكمة من وراء هذا التكبير ، فأقول : مضى من قريب أن التكبير يذكر النفس المسلمة بعبوديتها وتواضعها لله رب العالمين ، وخصوصاً مع وجود دواعي الفخر والكِبَر .

وفي العيد حيث تظهر النعم بأبهى صورها - وهذا أمر مشروع ومندوب - ، فاللباس الجديد ، والطعام الهنيء ، والمركب الفاره ، قد يثير في النفس حظاً من الكِبَر ، فيأتي تكبير الله ﷻ ؛ ليردَّ النفس إلى سابق تواضعها .

وإذا قلنا بهذا ، فإن تكبير النبي ﷺ هو من قبيل إرشاد الأمة لما فيه صلاحها ، وإلا فإنه - فداه أبي وأمي - أول المتواضعين ، وسيدهم بلا ريب ! صلى الله عليه ، وسلم تسليماً كثيراً .

وثمة حكمة أخرى من التكبير في العيد ، وهي إغاظة أعداء الإسلام في بلاد المسلمين ، فهؤلاء يكسبهم التكبير ذُلًّا وهوانًا ، ومعهم في ذلك الشيطان ، وهذا ما كان يحضل لمنافقي المدينة المنورة ويهودها ، وهم يرون المسلمين إذ ذاك يهتفون بتكبير الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، جلَّ في علاه ، ولهذا كانت السُّنة رفع الصوت بالتكبير ، فلو كانت الحكمة منه لمجرد التواضع - ليس أكثر - ؛ لما كان هناك من داعٍ لرفع الصوت فيه .

أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! لعلكم تتساءلون عن صيغة مأثورة للتكبير في العيد ، فقد صح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يكبر في العيد ، فيقول : «اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ» . أخرجه ابن أبي شيبة ^(١)

وهذه الصيغة هي المشتهرة بين المسلمين ، وهي ليست ملزمة لأحد ، فالمهم هو التكبير ، وإن كان التقيد بالمأثور هو الأفضل .

والتكبير كما هو سنة في حق الرجال ، فهو أيضاً سنة في حق النساء ، ولكن على أن يكون بصوت منخفض لا يسمعه الرجال الأجانب درءاً للفتنة ، والدليل عليه ما أخرجه البخاري ومسلم ^(١) عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : «كُنَّا نُؤْمِرُ ^(٢) أَنْ نَخْرُجَ يَوْمَ الْعِيدِ ، حَتَّى نُخْرِجَ الْبَكْرَ مِنْ خِدْرِهَا ؛ حَتَّى نُخْرِجَ الْحَيْضَ ، فَيَكُنَّ خَلْفَ النَّاسِ ^(٣) ، فَيَكْبِرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ ، وَيَدْعُونَ بِدُعَائِهِمْ ، يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَطَهْرَتَهُ» . والشاهد من الحديث قول أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «فَيَكْبِرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ» فدل على مشروعية تكبير النساء في العيد .

هذا والله أعلم ، وإلى لقاء الغد أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد عبد الله ورسوله ، وعلى آله وصحبه ، وسلّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



(١) البخاري: ٩٧١ ، ومسلم: ٨٩٠ .

(٢) في رواية لمسلم - برقم: ٨٩٠ - : «أمرنا رسول الله ...» .

(٣) أي يعتزلن المصلين ؛ كما جاء في رواية عند البخاري - برقم: ٣٢٤ - : «وَيَعْتَزِلُ الْحَيْضُ الْمُصَلِّينَ» .

الحلقة الثانية والعشرون

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة ، وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .
وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، ويا أيتها الأخوات المستمعات ! مما يُشرع فعله في ليلة عيد الفطر حتى صلاة العيد إخراج زكاة الفطر ، والإكثار من التكبير ، وقد تقدم الكلام فيهما ، في الحلقتين السابقتين . أما اليوم فأضيف إلى ما سبق ذكره أموراً أخرى ، وهي :

* التبشير بإهلال شهر شوال :

ويمكن تعريف البشارة بأنها : إعلام للمبشّر بما يسرّه ، وحكمها الاستحباب ؛ لأنها تسرّ العبد المبشّر وتفرّحه ؛ فاستحبّ للمسلم أن يبادر إلى مسرّة أخيه وإعلامه بما يُفرّحه .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة في البشارة ، كقول الله ﷻ : ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت : ٣٠] . وفي بشارة نبي الله إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بإنجاب الذرية ، قال الله ﷻ : ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۖ وَامْرَأَتُهُ﴾

قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿﴾ [هود: ٧٠، ٧١] .

وفي بشارة نبي الله يحيى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - يقول الله ﷻ : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩] .

ويذكر القرآن الكريم بشارة نبي الله يعقوب بسلامة ابنه يوسف - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - ، فيقول الله ﷻ : ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَغْمُرُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦] . أي: ألقى البشير - وهو المبشر - قميص يوسف ﷺ على وجه أبيه يعقوب ﷺ ، فعاد إليه بصره بعدما فقدّه حزناً على فراق يوسف ﷺ .

هذا ، وإن قدم المبشر للبشير على بشارته شيئاً مما تجود به نفسه كالهدية أو مقدارٍ من المال - حسب ما يقتضيه الحال - ، فلا بأس في ذلك ، بل هو طيب ، ومما يؤجر عليه إن شاء الله تعالى ، ولا بأس على المبشر أن يقبل ذلك ، ويشهد له ما جاء في حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ ، وهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ، ففرض عليهم رسول الله ﷺ مقاطعة قاسية ، فما عاد يكلمهم أحد من الصحابة ﷺ ، ثم قبل الله ﷻ توبتهم ، وأنزل فيهم قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨] .

ومما قاله كعب بن مالك ﷺ في حديث توبته الطويل والمؤثر :

«فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينِ نُهِيَ عَن كَلَامِنَا ، قَالَ : ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ

الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ
الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ،
سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ [وهو جبل] يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ
ابْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ! قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، قَالَ: فَاذْنِ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا،
فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ [أي
من قبيلة أسلم] قِبَلِي، وَأَوْفَى الْجَبَلِ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي
الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي؛ فَزَعْتُ لَهُ تَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهِ، مَا
أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ! وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ، فَلَبِسْتُهُمَا...» (١).

وهكذا قدّم كعب رضي الله عنه للبشير ثوبيه، وقبلهما، وهذا باب من أبواب الخير،
فقد يكون المبشر فقيرًا، وفيه أيضًا تشجيع على نقل الأخبار المُسرة.

أيها الإخوة المستمعون، والأخوات المستمعات! يُعلم مما تقدم أن البشارة
بثبوت العيد أمر مندوب ومستحب، وبفضل الله ﷻ فقد تطورت وسائل الاتصال
في زماننا، فإذا تعذر التبشير وجهًا لوجه، فإنه قد أمسى من المتيسر جدًّا بثُّ
البشارة باستعمال الهاتف، وإلى ما هنالك من وسائل اتصالٍ حديثة.

ومما يستحب فعله في ليلة العيد إلى قبيل صلاة العيد:

❖ الاغتسال قبل صلاة العيد:

ستمعي الكرام! من الأدلة على استحباب غسل العيد ما رواه الإمام مالك

في الموطأ^(١) - بإسناد صحيح - عن نافع «أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلّى» .

ومعلوم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان من أشد الصحابة حرصاً على اتباع السنة ، فلو لم يكن له في غسل العيد سنة ، لما فعله رضي الله عنه .

وفي سنن البيهقي الكبرى^(٢) : «سأل رجل علياً رضي الله عنه عن الغسل ، قال : اغتسل كل يوم إن شئت . فقال : لا الغسل الذي هو الغسل^(٣) . قال [علي] : يوم الجمعة ، ويوم عرفة ، ويوم النحر ، ويوم الفطر» . وإسناده صحيح .

وفي كل الأحوال فغسل العيد يدخل في عموم الأدلة الشرعية التي تدعو المسلم لإصلاح مظهره ، وخصوصاً عند خروجه إلى الأماكن العامة وبروزه للناس ؛ لأن من حق المسلم عليك - أخي المستمع ، وأختي المستمعة - أن يراك جميلاً نظيفاً ، ولا يشم منك إلا طيباً .

ولما كانت صلاة الجمعة تجمع عشرات الرجال في المسجد الواحد ، فإن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أمر بالاعتسال لها ، فقال : «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ» . أخرجه البخاري^(٤) .

والحق فقهاؤنا - جزاهم الله خيراً - بغسل الجمعة أغسالا كثيرة ، يستحب القيام بها ، منها ما يشهد له الدليل ، ومنها ما كان بالقياس على غسل الجمعة ، فكان

(١) ج ١ ص ١٧٧ . قال عبد القادر الأرناؤوط : إسناده صحيح . يُنظر بتحقيقه : ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ج ٧ ص ٣٣١ .

(٢) برقم : ٦١٢٤ ، يُنظر : الألباني ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : ١٤٧ .

(٣) أي : هو لا يسأل عن غسل الجنابة ، وإنما سؤاله عن الغسل المسنون ، أو المستحب .

(٤) البخاري : ٨٥٨ ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

مما ذكره^(١): الغُسلُ للإحرام بالحج أو بالعمرة، ولوقوف عرفة، ولدخول مكة، وللمبيت بمُزدَلِفَة، ولطواف الزيارة - أو الإفاضة -، ولطواف الوداع، ولصلاة كسوف الشمس وخسوف القمر، ولصلاة الاستسقاء؛ لأنها عبادة يجتمع لها الناس، فأشبهت الجمعة والعيدين. ومن الأغسال المسنونة عند جمهور الفقهاء الغسلُ لِغَسْلِ الميت.

ويُخْلِصُ الناظر في تلك الأغسال إلى أن استحبابها كان سببه تهيئة المسلم في أتم صورة؛ لاستقبال إخوانه في محافل تعبدية واسعة.

والأدلة على حرص الإسلام على النظافة - بكل أنواعها ومجالاتها -، وعلى أمره بها كثيرة جداً، فالنظافة - بنص القرآن الكريم - تستجلب محبة الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. كما يقول ﷺ: ﴿لَمَسَّجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

ويؤقت النبي ﷺ مدة سبعة أيام، لا ينبغي تجاوزها بغير اغتسال؛ كي تُحفظ للبدن نظافته ونضارته، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، فَإِنْ كَانَ لَهُ طِيبٌ، مَسَّهُ». أخرجه ابن حبان^(٢)، وإسناده صحيح.

ويجعل نبينا محمد ﷺ الطهارة نصف الإيمان، وذلك في قوله: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ...». أخرجه مسلم^(٣).

(١) يُنظَر: د. وهبة الزُّحَلِي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ١ ص ٥٤١ إلى ٥٤٣.

(٢) برقم: ١٢٣٢.

(٣) مسلم: ٢٢٣، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

والإسلام - كما تعلمون - أوجب الغُسل من الجنابة ، فربط الاغتسال بشهوة الإنسان ، والإنسان يحب أن يأتي شهوته ، فكلما زادت استجابته لشهوته ، زاد اغتساله ، وزادت نظافته! .

والإسلام - كما تعلمون أيضاً - لشدة حرصه على النظافة يجعل طهارة الثوب والبدن والمكان شرطاً لصحة أهم العبادات في الإسلام ، إنها الصلاة ، فقد قال رسول الله ﷺ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ». أخرجه مسلم^(١).

والطُّهور للصلاة يعني الوُضوء ، ويكون مسبقاً بالاستنجاء ، وهو أيضاً تنظيفٌ لمواضع خروج النجاسة من البدن ، والوضوء يُسهم إلى حدٍّ كبير في تنظيف الأعضاء الظاهرة من البدن ، والتي تكون عُرضةً للتساخ ، التي يتأذى منها الناس فضلاً عن صاحبها .

وفوق ذلك كله ، فإن النبي ﷺ قد أوصى المسلم بأن يتعهد شعره بالتنظيف والتسريح ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «أَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَرَأَى رَجُلًا ثَائِرَ الرَّأْسِ ؛ فَقَالَ: أَمَّا يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ». أخرجه النسائي^(٢) ، وهو صحيح . وقوله: (ثائر الرأس) يعني متفرق الشعر من قلة الاعتناء به . وقوله ﷺ: (ما يسكن به شعره) أي بتسريحه وتصفيفه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ ، فَلْيُكْرِمْهُ». أخرجه أبو داود^(٣) ، وهو حسن صحيح .

(١) برقم: ٢٢٤ ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) برقم: ٥٢٣٦ .

(٣) برقم: ٤١٦٣ .

كما دعا النبي ﷺ إلى تنظيف الأسنان ، وجعله سبباً لمرضاة الرب جل في علاه ، فهو ﷺ يقول : «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» . أخرجه النسائي^(١) ، وهو صحيح .

هذا والله أعلم ، وسوف يأتي تمامه في لقاء الغد بإذن الله تعالى ، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله ﷻ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلّم تسليمًا كثيرًا ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



(١) برقم: ٥ ، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

الحلقة الثالثة والعشرون

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة ، وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ؛ إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، ويا أيها الأخوات المستمعات ! مما يُشرع فعله في ليلة عيد الفطر إخراج زكاة الفطر ، والإكثار من التكبير ، والتبشير بإهلال شهر شوال ، والاعتسال قبل صلاة العيد ، وقد تقدم فيها الكلام فيما مضى .

أما اليوم فأضيف إلى ما سبق بإذن الله ﷻ أموراً أخرى ، يُشرع القيام بها قبل الذهاب للصلاة ، فمن ذلك :

✽ لبس أحسن الثياب ، والتطيّب بأجود الأطياب :

أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! الإسلام كما يأمرنا بالاعتسال تطهيراً للبدن ، فإنه يأمرنا بأن نلبس ما نظف وجَدَّ صيانةً لمظهرنا الخارجي ، قال الله ﷻ : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ٤] . ونكون بذلك قد جمعنا بين نوعين من النظافة : نظافة البدن ، ونظافة الملبس ، كما يدعو الإسلام أيضاً إلى نظافة المكان ، ومما جاء فيه قوله ﷻ : « طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ » . أخرج الطبراني - في معجمه الأوسط ^(١) - ، وهو صحيح . والإسلام يدعو - قبل ذلك كله - إلى نظافة

(١) برقم: ٤٠٥٧ ، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ . يُنظر: الألباني ، السلسلة الصحيحة: ٢٣٦ =

القلب وسلامة الاعتقاد ، وبذلك يكون المسلم الحق نظيفاً ظاهراً وباطناً!

ومن كان هذا حاله كان من الله تعالى أقرب ، وإليه أحب ، لأن الله ﷻ «جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» ، وهذا حديث ثابت وصحيح ، أخرجه الإمام مسلم^(١) ، وله سبب ورود ، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ . قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ! قَالَ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ! الْكِبَرُ : بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ » .
أي : رفض الحق ، واحتقار الناس .

وعن مالك بن نضلة رضي الله عنه قال : « أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا قَشِيفُ^(٢) الْهَيْئَةِ ، فَقَالَ ﷺ : هَلْ لَكَ مَالٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : مِنْ أَيِّ الْمَالِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : مِنْ كُلِّ الْمَالِ : مِنَ الْإِبِلِ ، وَالرَّقِيقِ ، وَالْخَيْلِ ، وَالْغَنَمِ ! فَقَالَ : إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا ، فَلْيُرِّ عَلَيْكَ » .
أخرجه أحمد^(٣) ، وإسناده صحيح ، وفي رواية قبله : « فَلْتُرِّ نَعْمُ اللَّهِ وَكَرَامَتُهُ عَلَيْكَ » .

فعلى المسلم أن يكون نظيفاً ، وذا هيئة جميلة ، حيثما كان ، في حِلِّهِ وارتحاله ، ويتأكد هذا في اللقاءات العامة ، وعلى رأسها ما يكون منها في المساجد ، كصلاة الجماعة ، والجمعة ، والعيد ، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ... فَقَالَ : مَا عَلَى أَحَدِكُمْ أَنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِجُمُعَتِهِ سِوَى ثَوْبَيْنِ مِهْنَتِهِ » . أخرجه ابن ماجه^(٤) ، وهو صحيح .

= والحديث أخرجه الترمذي - ٢٧٩٩ - وقال : غريب ، وذكر علة سنده ، فقال : خالد بن إلياس ، يضعف .

(١) برقم : ٩١ .

(٢) متقشف : أي تارك للنظافة والترفة . ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٤ ص ٦٦ .

(٣) برقم : ١٥٨٨٨ .

(٤) برقم : ١٠٩٦ .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعْنًا، قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ؛ فَقَالَ: أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسْكِنُ بِهِ شَعْرَهُ؟! وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ؛ فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ». أخرجه أبو داود^(١)، وهو صحيح.

وقوله ﷺ: «مَا يُسْكِنُ بِهِ شَعْرَهُ» أي بتسريحه وتصفيفه والعناية به.

أيها الإخوة المستمعون، والأخوات المستمعات! (كل قوم لهم يوم يتخذونه عيداً، يتجملون فيه، ويخرجون من بلادهم بزينتهم)^(٢)، وتلك عادة لا ينفك عنها أحد من طوائف العرب والعجم)^(٣)، فالفراعة كان لهم عيد ذكره الله ﷻ في القرآن الكريم، وسماه يوم الزينة، وفيه أبطل الله تعالى على يد نبيه موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - سحر سحرة فرعون، قال الله ﷻ: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخْشِرَ النَّاسَ ضَحَى﴾ [طه: ٥٩].

وجاء الإسلام بعيدين - لا ثالث لهما -، هما عيد الأضحى، وعيد الفطر، فسنَّ لهما أحكاماً وآداباً، كان منها لبس الجديد ابتهاجاً بما وفق الله تعالى المسلمين لطاعة الصوم قبل عيد الفطر، وطاعة الحج قبل عيد الأضحى، وتعبيراً عن شكرهم لخالقهم جل في علاه، وامثالاً لأمره، فهو يقول للصائمين منتهى شهر رمضان: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) برقم: ٤٠٦٢.

(٢) يخرجون من بيوتهم إلى الفضاء يجتمعون فيه، وغالباً ما يكون في أطراف المدينة، كاجتماع المسلمين في مصلّى العيد.

(٣) الدّهْلوي، حجة الله البالغة، ج ٢ ص ٤٧.

ومن مظاهر شكرك لله تعالى - أخي المستمع ، وأختي المستمعة! - أن تلبس الجميل الجديد في المسرات ، ولهذا صح عن النبي ﷺ أنه كان يتزين للعيد ، فعن عبد الله بن عباس ؓ قال : « كان رسول الله ﷺ يلبس يوم العيد بُردة حمراء »^(١) . وقال بعض العلماء : إنها كانت مشوبةً بالاحمرار ، ولم تكن حمراء خالصة .

وأخرج البخاري^(٢) عن عبد الله بن عمر ؓ قال : أَخَذَ عُمَرُ ؓ جُبَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ، تُبَاعُ فِي السُّوقِ ، فَأَخَذَهَا ، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْتَغِ^(٣) هَذِهِ ؛ تَجَمَّلُ بِهَا لِلْعِيدِ وَالْوُفُودِ ! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسٌ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ (فِي الْآخِرَةِ)^(٤) أي من لا حظ له في الجنة ، وذلك لأن لبس الحرير محرّم على الذكور ، وعمر ؓ ربما كان لا يعلم حكمه وقتئذٍ ، والله تعالى أعلم .

وموطن الشاهد في الحديث : قول عمر : « تَجَمَّلُ بِهَا لِلْعِيدِ وَالْوُفُودِ » . (ووجه الاستدلال به من جهة تقريره ﷺ لعمر ؓ على أصل التجميل للعيد ، وقصر الإنكار على لبس مثل تلك الحلة ؛ لكونها كانت حريراً)^(٥) .

ويُفهم من الحديث أيضاً أن التزين في العيد لم يكن من شأن النبي ﷺ خاصة ، بل كان معروفاً لدى أصحابه ؓ ، ويؤكد^(٦) هذا ما رواه البيهقي^(٧) بإسناد

(١) الطبراني في الأوسط : ٧٦٠٩ ، وقال الهيثمي - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ج ٢ ص ١٩٨ - : رجاله ثقات .

(٢) برقم : ٩٤٨ .

(٣) اشتر .

(٤) البخاري : ٨٨٦ .

(٥) المباركفوري ، تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي ، ج ٣ ص ٦٠ .

(٦) يُنظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٤٣٩ .

(٧) برقم : ٦١٤٣ .

صحيح عن نافع «أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يلبس في العيدين أحسن ثيابه»

ولا ننسى - مستمعي الأفاضل! - أن نتطيب للعيد بأجود الطيب؛ كي نجمع بين حسن المظهر، وعبق الطيب، والمسلم لا يدع الطيب في كل أحواله، لكنه في العيد - وبعدما يلبس الجديد - يكون عليه أشد حرصاً، ولندكر جميعاً قول نبينا محمد ﷺ: «حُبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ». أخرجه النسائي^(١)، وهو حسن صحيح. وهو القائل أيضاً ﷺ: «أَطْيَبُ الطِّيبِ الْمِسْكُ». أخرجه النسائي^(٢)، وهو صحيح.

والتطيب للناس في العيد يتسحب للرجال دون النساء، فالإسلام يريد من المرأة أن تكون عامل بناء في الأمة، وليس معول هدم فيها، يريد منها أن لا تكون ضالة ولا مُضلة، فخروج المرأة من بيتها بغير طيب يُحسب له حسابُه؛ فكيف الحال لو أنها خرجت متعطرة؟!.

ومن منا لا يذكر - أيها الإخوة المستمعون، والأخوات المستمعات! - قول النبي ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ». أخرجه البخاري^(٣). وقوله أيضاً ﷺ: «... فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ». أخرجه مسلم^(٤).

ولهذا فإننا نجد النبي ﷺ يحذر المرأة من هذا الأمر أشد التحذير، فهو يقول: «إِذَا اسْتَعْطَرَّتِ الْمَرْأَةُ، فَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا، فَهِيَ كَذَا وَكَذَا،

(١) برقم: ٣٩٣٩، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) برقم: ١٩٠٥، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) برقم: ٥٠٩٦، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٤) برقم: ٢٧٤٢، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قَالَ قَوْلًا شَدِيدًا». أخرجه أبو داود^(١)، وهو حسن.

لكن المرأة لها أن تتطيب بما له ريح في بيتها؛ فهذا من حق الزوج عليها، وعليها أن تزيل أثره قبل الخروج من البيت، وأما طيبها إذا خرجت فهو ما كان له لون، وليس له ريح، وعليها - مع ذلك - أن لا تبديه إلا أمام النساء ومحارمها من الرجال، ويؤكد هذا قول النبي ﷺ: «... أَلَا وَطِيبُ الرَّجَالِ رِيحٌ لَا لَوْنَ لَهُ، أَلَا وَطِيبُ النِّسَاءِ لَوْنٌ لَا رِيحَ لَهُ». أخرجه أبو داود^(٢)، وهو صحيح.

وأما الفقير الذي لا يجد من المال ما يشتري به ثوباً جديداً أو طيباً، فهذا يكفيه أن يلبس أفضل وأنظف ما عنده، قال الله ﷻ: ﴿وَيَا بَنِي إِسْرَءِيلَ! اصْبِرُوا عَلَى مَا كَانَ بِكُم مِّنَ اللَّهِ أَن يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [المدثر: ٤].
وأما الطيب فالماء يُغْنِيهِ عَنْهُ، ويثبت له أجر التَّطِيبِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فعن البراء ابن عازبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حَقٌّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلِيَمَسَّ أَحَدُهُمْ مِنْ طِيبِ أَهْلِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، فَالْمَاءُ لَهُ طِيبٌ». أخرجه الترمذي^(٣)، وحسنه.

وأقول له معزياً: لبس الجديد في العيد لا يعدو حكم الاستحباب، فلا هو فرض، ولا هو واجب، ورحم الله تعالى من قال: ليس العيد لمن لبس الجديد، ولكن العيد لمن طاعته تزيد!

وإني لأنصح كل مسلم قد أغناه الله تعالى من فضله، ووسَّعَ عليه في رزقه، أن يجعل نصيباً من صدقاته لكسوة الفقراء في العيد، وخصوصاً صغارهم، فهم يتألمون أشد الألم بفقد زينة العيد، ولا يجد الواعظ معهم وسيلة لإقناعهم

(١) برقم: ٤١٧٣، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) برقم: ٤٠٤٨، عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) برقم: ٥٢٨، ٥٢٩، وحسن الرواية الثانية.

بالزهد والرضا .

هذا والله أعلم ، وسوف يأتي تمامه في لقاء الغد بإذن الله تعالى ، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله ﷻ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة الرابعة والعشرون

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا ؛ إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ، يا ذا الجلال والإكرام !.

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، ويا أيتها الأخوات المستمعات ! لا زلت أبحث معكم الأمور التي يشرع فعلها ليلة العيد حتى صلاته ، فكان منها فيما مضى : إخراجُ زكاة الفطر ، والإكثار من التكبير ، والتبشير بإهلال شهر شوال ، والاعتساف قبل صلاة العيد ، ولُبس أحسن الثياب والتطيب بأجود الأطياب .

ومن الأمور التي يُستحب للمسلم القيام بها في ذلك الوقت :

✽ الفطر على تمرّات قبل الصلاة :

أيها الإخوة ، والأخوات ! اتفق الفقهاء على استحباب تعجيل الأكل يوم عيد الفطر ، ودليلهم في ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ ... يَأْكُلُهُنَّ وَتَرًّا » . أخرجه البخاري ^(١) .

والحكمة في الأكل قبل الصلاة أنه (لَمَّا وَقَعَ وَجُوبُ الْفِطْرِ عَقِبَ وَجُوبِ

الصوم، استُحبَّ تعجيلُ الفطر مبادرةً إلى امتثال أمر الله تعالى، ويُشعر بذلك اقتصارُ النبي ﷺ على القليل من التمر، ولو كان لغير الامتثال، لأكل قدر الشَّبع^(١)، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ: ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا». أخرجه ابن حبان^(٢)، وإسناده حسن.

وهذا يذكّرنا - مستمعي الكرام! - بواحد من دروس شهر رمضان المبارك، ألا وهو الدقة في الاستجابة لأمر الله ﷻ، وقد مضى فيه الكلام في إحدى الحلقات السابقة، وللفضل الكبير لتلك الاستجابة؛ فقد كتب الله ﷻ لكل من يلتزم بها الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، فقد قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [أنفال: ٢٤].

وكذلك فإن تنوُّع الابتلاء يكشف عن صدق الادعاء، فالله ﷻ يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]. فالآية الكريمة ذكرت ابتلاءاتٍ مختلفةً، فمن ادعى الإيمان، عليه أن يثبت أمامها.

والمسلم في شهر رمضان المبارك تتبدل معه الابتلاءات، فمن ذلك أنه أمر بالصوم فلبى واستجاب، وترك الطعام من أول النهار، ولما انقضى رمضان أمر بالفطر فلبى واستجاب، وأفطر من أول النهار أيضاً، فأثبت بذلك صدق إيمانه بالله ﷻ، ولو أنه أكل قبل الفجر - ولو بدقائق - لما أثبت بذلك استجابته لأمر الله تعالى؛ لأن ذلك وقتٌ يباح الأكل فيه في رمضان أيضاً.

ومن حكمة الأكل قبل صلاة العيد أيضاً: أن لا يظنَّ ظانٌّ لزوم الصوم حتى

(١) يُنظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٢ ص ٤٤٧.

(٢) برقم: ٢٨١٤.

يصلي العيد، فكأن النبي ﷺ بأكله تلك التمرات أراد سدَّ هذه الذريعة.

وأما الحكمة من أكل النبي ﷺ التمرَ دون غيره قبل أن يغدو إلى صلاة عيد الفطر، فلأن التمر من أيسر الطعام هضمًا، وأكثره نفعًا، وهو الأوفق بالمعدة أن تستهلَّ عملها به، ولهذا استحب للصائم أن يبدأ به فطوره، فعن ثابت البناني رضي الله عنه أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ، فَعَلَى تَمَرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ، حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ». أخرجه أبو داود^(١)، وهو حسن صحيح.

قال ابن القيم في كتابه القيم (زاد المعاد في هدي خير العباد) معلقًا على هذا الحديث الشريف، قال رضي الله عنه: (وفي فطر النبي ﷺ من الصوم على الرطب، أو على التمر، أو الماء تدييرٌ لطيفٌ جدًّا؛ فإن الصوم يُخلي المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه، وترسله إلى القوى والأعضاء، والحلو أسرع شيء وصولًا إلى الكبد، وأحبُّه إليها، ولا سيما إن كان رطبًا، فيشتد قبولها له، فتنفع به هي والقوى، فإن لم يكن، فالتمر لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن، فحسوات الماء تُطفئ لهيب المعدة وحرارة الصوم، فتنبته بعده للطعام، وتأخذه بشهوة)^(٢).

وهذا يذكرنا - أيها الإخوة، والأخوات! - بالرطب الذي اختاره الله ﷻ غذاءً لمريم بنت عمران رضي الله عنها ولادتها نبيَّ الله عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام -، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْهِ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

وأما من أصبح مُعيِّداً، ولم يجد رطباً ولا تمرًا، فليُفطر على حُلٍ آخر، فإذا

(١) برقم: ٢٣٥٦.

(٢) ج ٤ ص ٢٨٧.

لم يجد فعلى الماء ؛ ليحصل له شيء من اتباع السنة ، فالمهم ألا يغدو إلى الصلاة قبل أن يأكل أو يشرب شيئاً .

ولكن لماذا كان ما يأكله النبي ﷺ من التمر وترّاً ؟ والجواب : كان ذلك - والله أعلم - للإشارة إلى وحدانية الله ﷻ ، وهو ما كان يفعله ﷺ في جميع أموره تبرُّكاً بذلك ، وقال فيه حديثاً ، وهو عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ اسْمًا ، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرٌ ؛ يُحِبُّ الْوَتَرَ» . أخرجه مسلم^(١) .

ولسائل - مستمعي الأعزاء! - أن يسأل ، فيقول : إذا كانت القضية تتصل بالتوحيد ، فلماذا لم يكتف النبي ﷺ بأقلّ الوتر ، فيأكل ثمرة واحدة ؟!

والجواب : إن العدد الوترى أو الفرديّ مهما عظم فهو يؤكد الأحديّة أو الفرديّة التي منها بدأ ، ومن مجموعها كان ، بخلاف العدد الشفعي أو الزوجي فهو يبدأ من الاثنين فصاعداً ، والله تعالى أعلم .

أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ! ومما يستحب فعله قبل صلاة العيد :

* الخروج إلى الصلاة ماشياً :

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ إِلَى الْعِيدِ مَاشِياً ، وَيَرْجِعُ مَاشِياً» . أخرجه ابن ماجه^(٢) ، وهو حسن .

وعن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى الْعِيدِ مَاشِياً ،

(١) برقم : ٢٦٧٧ ، وهو في البخاري - ٢٧٣٦ - بلفظ مقارب .

(٢) برقم : ١٢٩٥ .

وأن تأكل شيئاً قبل أن تخرج». أخرجه الترمذي^(١)، وحسنه، وقال ﷺ: والعمل على هذا الحديث عند أكثر أهل العلم: يستحبون أن يخرج الرجل إلى العيد ماشياً، وأن لا يركب إلا من عذر.

والمعذورون من هم؟ هم الشيوخ والمرضى، ومن كانت مساكنهم بعيدة عن المصلى، ومن كان في حكمهم ممن يصعب عليهم المشي، فهؤلاء لا بأس عليهم أن يركبوا، (قال الإمام مالك ﷺ: إنما نحن نمشي ومكاننا قريب، ومن بُعد عليه، فلا بأس أن يركب)^(٢).

ومن كان كذلك في زماننا، وأتى مصلى العيد أو المسجد بسيارته، فله أجر الماشي بإذن الله تعالى، وله بكل دورة إطار رفع درجة، وحط خطيئة بمشيئة الله تعالى، كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ!». ولا يزال أحذكم في صلاة ما انتظر الصلاة». أخرجه البخاري^(٣).

وقد تكون الحكمة من وراء المشي إظهار تواضع المسلم لله رب العالمين، وافتقاره إليه أيضاً، فالمشي أقرب إلى هذه الحال من الركوب، وخاصة بعدما تطورت صناعة السيارات، وغلت أثمانها، فالنفس لا بد أن تأخذ حظاً من

(١) برقم: ٥٣٠.

(٢) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ٢ ص ٥٥٦.

(٣) برقم: ٦٤٧.

الاعتداد مما تركب ، والله تعالى أعلم .

ويذكرني هذا بخبر يرويه ابن أبي شيبة في مصنفه^(١) عن أسد بن عمرو قال :
(لما أتى عمر رضي الله عنه الشام ، أتى ببرذون^(٢) ، فركب عليه ، فلما هزه نزل عنه ، ثم
قال : قبحك الله من علمك؟!) . أي من علمك تمشي بهذا الاختيال؟ .

وأين اهتزاز البرذون من اهتزاز وانسياب سياراتنا ، اللهم ، أعنا على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك .

هذا والله تعالى أعلم ، وسوف يأتي تمامه في لقاء الغد - بإذن الله تعالى -
وإلى ذلك الحين أستودعكم الله ﷻ الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله ﷻ منا
الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على
سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليمًا كثيرًا ، والحمد لله رب
العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



(١) برقم : ٣٣٨٤٩ .

(٢) التركي من الخيل . الفيومي ، المصباح المنير ، مادة : ب ر ذ ن .

الحلقة الخامسة والعشرون

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة ، وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين! .
وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات! لا زلت أبحث معكم الأمور التي يشرع فعلها ليلة العيد حتى صلاة العيد ، فكان منها فيما مضى: إخراج زكاة الفطر ، والإكثار من التكبير ، والتبشير بإهلال شهر شوال ، والاعتساف قبل صلاة العيد ، ولُبس أحسن الثياب والتطيب بأجود الأطياب ، والفطر على تمرات قبل الصلاة ، والخروج إلى المصلى ماشياً .

ومن الأمور التي يُستحب للمسلم القيام بها في ذلك الوقت :

❖ دعوة النساء إلى صلاة العيد ، وسماع خطبتها :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بَنَاتَهُ وَنِسَاءَهُ أَنْ يَخْرُجْنَ فِي الْعِيدَيْنِ» . أخرجه الإمام أحمد ^(١) ، وهو صحيح لغيره .

وَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها قَالَتْ : «(أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)» ^(٢) (أَنْ نَخْرُجَ يَوْمَ الْعِيدِ ؛

(١) أحمد: ٢٠٥٤ .

(٢) مسلم: ٨٩٠ .

حَتَّى نُخْرِجَ الْبُكَرَ مِنْ خِدْرِهَا؛ حَتَّى نُخْرِجَ الْحَيْضَ، فَيَكُنَّ خَلْفَ النَّاسِ^(١)،
(يَعْتَزِلْنَ الصَّفَّ، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ)^(٢)، (فَيَكْبُرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدُعَائِهِمْ،
يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَطُهْرَتَهُ)^(٣)، (قَالَتْ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِحْدَانَا لَيْسَ لَهَا
جِلْبَابٌ!)^(٤)، (قَالَ: فَلْتَعْرِهَا أُخْتُهَا مِنْ جَلَابِيبِهَا)^(٥). والحديث من روايات
صحيحة أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والدارمي.

أيها الإخوة المستمعون، والأخوات المستمعات! لنقف مع هذا الحديث
وقفة بحثٍ، نستنبط من خلالها بعضاً من إرشاداته المباركة، والتي منها:

أولاً: تأكيد النبي ﷺ على خروج النساء إلى المصلى لأداء صلاة العيد،
والمصلى: ساحة مفتوحة ليس لها حرمة المسجد، ولذلك عمت دعوته ﷺ النساء
كافةً، حتى الْحَيْضُ منهن، ليشهدن الخير، وهو سماع خطبة العيد، أما الصلاة
فَالْحَيْضُ لا يؤدّينها، ويعتزلن صفوف النساء، ويتأخرن عنها.

ثانياً: حرص النساء في زمن النبي ﷺ على العفة والسّتر، فقد كنَّ ﷺ لا
يخرجن بغير جلاباب، وهو ثوب فضفاض سابغ لا يصِف، ولا يَشِفُّ، تُلقِيه المرأة
فوق ثيابها الداخلية إذا أرادت الخروج من بيتها، فيسترها سِتْرًا كاملاً من رأسها
إلى قدميها، وهو ما يقال له أيضاً: الْعَبَاءُ، والمِلْحَفَةُ، والمُلَاءَةُ.

وارتداء الجلاباب في حق النساء فرض لازم، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

(١) البخاري: ٩٧١.

(٢) الدارمي: ١٦٥٠.

(٣) البخاري: ٩٧١.

(٤) البخاري: ٣٥١.

(٥) الترمذي: ٥٣٩.

قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَلِنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿﴾ [الأحزاب: ٥٩] .

وقوله ﷺ في الآية: ﴿أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ ﴿﴾ . معناه: (يَتَجَلَّبَنَ ؛ فَيُعْلَمَ أَنَّهُنَّ حَرَائِرٌ [عَفِيفَاتٌ] ؛ فَلَا يَعْرِضُ لَهُنَّ فَاسِقٌ بِأَذَى مِنْ قَوْلٍ ، وَلَا رِيبة) ^(١) .

ومن فوائد الحديث ثالثاً: أن المرأة في زمن النبوة كانت لا تخرج من بيتها إلا قليلاً ، وهذا يُفهم من قول المرأة: «يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِحْدَانَا لَيْسَ لَهَا جِلْبَابٌ ! فقال لها ﷺ: فَلْتَعْرِهَا أُخْتَهَا مِنْ جَلَابِيبِهَا» فهي إذن ليس لديها جلباب ، ولا تخرج إلا بجلباب ، فدل هذا على طول مكثها في البيت ، وهي راضية ؛ ولو كانت تحرص على الخروج لسعت إلى اقتناء الجلباب بكل ممكن .

ونظراً لأهمية الجلباب في الإسلام ؛ فإن النبي ﷺ لم يرخّص لها بالخروج من دون جلباب ، وإلى أين ؟! إلى أداء الصلاة ، وليس إلى الحداثق والأسواق ، لكنه أشار عليها ﷺ بأن تستعير جلباباً من امرأة أخرى .

ومن فوائد الحديث رابعاً: (أن الحائض لا تهجر ذكر الله تعالى ، ولا مواطن الخير ، كمجالس العلم والذكر سوى المساجد) ^(٢) .

ومن فوائد الحديث خامساً: اعتزال الحيض مصلّى النساء أو صفوفهن ، وتأخّرهن عن المصلّى ، لا لأنّ المصلّى له حرمة المسجد ، بل لأنّ وقوفهن مع المصلّيات – وهن لا يُصَلّين – لا يليق بجلال الحال ، ولا بنظام صفوف المصلّيات ، وربما وقع منهن ما فيه تشويش على المصلّيات ، فاستحبّ لهن اجتناب ذلك ، وهذا الحكم ينطبق على الرجال أيضاً ، إذا قام بعضهم إلى الصلاة ،

(١) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٩ ص ١٨٢ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٢٤ .

وقعد عنها آخرون .

ومن فوائد الحديث سادساً: حرص ولاية أمور المسلمين على استقامة المرأة ، ووضعها في أجواء إيمانية مباركة ، تدفع بها قُدماً في ميادين العلم النافع والعمل الصالح ، ونلمس ذلك من خلال دعوة النبي ﷺ نساء الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - إلى شهود صلاة العيد في المصلى ، وكما جاء في الحديث السابق: «فَيُكَبِّرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ ، وَيَدْعُونَ بِدُعَائِهِمْ ، يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَطُهْرَتَهُ» والطُهرة في العيد يراد بها: (التطهر من الذنوب)^(١).

وبلغ حرص نبينا محمد ﷺ على ترشيد النساء وتعليمهن أن خصهن بقاء يعلمهن مما علمه الله ﷻ ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَهَبَ الرَّجَالُ بِحَدِيثِكَ ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ . فَقَالَ: اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا ، فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا . فَاجْتَمِعْنَ ، فَاتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ...» . أخرجه البخاري^(٢).

أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات! بذلك يكون النبي ﷺ قد قَدَّمَ إلى أولياء الأمور توجيهاً رائعاً؛ لكي يكونوا على بصيرة من أمر المرأة المسلمة؛ لأن المرأة إذا لم ندعها - نحن المسلمين - إلى مجالس النصح والطاعة ، فإنها بلا ريب ستدعى إلى نوادي الفسق والخلاعة ، وهذه حقيقة بادية للعيان ، ولا تحتاج إلى برهان .

ومن فوائد هذا الحديث سابعاً: استحباب - أو وجوب - خروج النساء

(١) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٢) برقم: ٧٣١٠ .

لشهود العيدين ، سواءً كنَّ شواَبَ أم لا ، وذواتٍ هيئاتٍ أم لا ، وذلك لأن النبي ﷺ لم يأذن للمرأة التي لم تجد الجلباب بترك التوجُّه إلى المصلّى ، ولكنه أشار عليها باستعارة جلباب .

ولذلك كان حكم أداء صلاة العيد عند الفقهاء إمّا فرض كفاية ، وإما سُنّة مؤكّدة ، ويروي ابن أبي شيبة في مصنفه^(١) عن الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : «حقٌّ على كلّ ذاتٍ نطاقٍ الخروجُ إلى العيدين» . وذاتُ النطاق : يعني الأنثى البالغة^(٢) .

وروى أيضاً عن نافعٍ رضي الله عنه قال : «كان عبد الله بنُ عمر رضي الله عنهما يُخرج إلى العيدين من استطاع من أهله»^(٣) .

(والأولى أن يُخصَّص حكم خروجهن إلى صلاة العيدين بمن يؤمن عليها وبها الفتنة [فلا تكون متبرجةً بزينة أو بعطور] ، ولا يترتب على حضورها محذور ، ولا تراحم الرجال في الطرق ، ولا في المجامع)^(٤) .

فإن لم تتقيد المرأة بآداب الخروج تلك ، فحينئذٍ يكون عدم خروجها إلى المصلّى هو الأسلم ؛ درءاً للمفاسد ، وهو ما نهت إليه أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وذلك بعد موت النبي ﷺ ، فعن يحيى بن سعيد ، عن عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن ، أنها سمعت عائشة زوج النبي ﷺ تقول : «لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى مَا أَحْدَثَتْ

(١) برقم : ٥٧٨٥ . رجاله ثقات ، رجال الشيخين . الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٢٤٠٨ .

(٢) سميت المرأة بذلك ؛ لأنها كانت تشد وسطها بشيء بعد أن تلبس ثوبها . يُنظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٥ ص ٧٥ .

(٣) ابن أبي شيبة : ٥٧٨٧ . صحيح . زكريا الباكستاني ، ما صح من آثار الصحابة في الفقه ، ج ١ ص ٤٩٧ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٤٧١ .

النِّسَاءُ^(١)، لَمَنْعَهُنَّ الْمَسْجِدَ، كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ! قَالَ: فَقُلْتُ لِعَمْرَةَ: أَنْسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُنِعْنَ الْمَسْجِدَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ». أخرجه مسلم^(٢).

و(رُوي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: أكره اليوم الخروج للنساء في العيدين، فإن أبت المرأة إلا أن تخرج، فليأذن لها زوجها أن تخرج في أطمارها الخُلُقَانِ^(٣)، ولا تتزين، فإن أبت أن تخرج كذلك، فللزواج أن يمنعها عن الخروج)^(٤).

أجاب من قال بالاستحباب أو بالوجوب مطلقاً: (قد علم الله - سبحانه - ما سيحدثن [من المخالفات]، فما أوحى إلى نبيه ﷺ بمنعهن، ولو كان ما أحدثن يستلزم منعهن من المساجد، لكان منعهن من غيرها كالأسواق أولى)^(٥).

وأيضاً فالإحداث إنما وقع من بعض النساء لا من جميعهن، فإن تعيّن المنع فليكن لمن أحدثت، قال الحافظ في الفتح^(٦): (والأولى أن يُنظر إلى ما يُخشى منه الفساد؛ فيُجتنب؛ لإشارته ﷺ إلى ذلك بمنع التطيب والزينة).

ومن فوائد هذا الحديث ثامناً وأخيراً، وليس بآخر: الإعلان عن ولاء المسلمين لله ﷻ ولرسوله ﷺ، وذلك بحشد أكبر عدد منهم في صعيدٍ واحدٍ

(١) من المخالفات، ومنها: السفور والتبرُّج والاختلاط بالرجال.

(٢) برقم: ٤٤٥، وهو في البخاري: ٨٦٩.

(٣) خُلُقَان جمع، مفردة: خَلَقٌ، في التذكير والتأنيث، تقول: مِلْحَفَةٌ خَلَقٌ، وثوبٌ خَلَقٌ. والأطمار مفردة: طِمْرٌ، واللفظتان بمعنًى واحد، وهو الثياب البالية. يُنظر: الرازي، مختار الصحاح، مادة: ط م ر. خ ل ق.

(٤) الترمذي، سنن الترمذي، تعليقاً على حديث: ٥٤٠.

(٥) المُباركفوري، تُحفة الأحوذِي بشرح جامع الترمذي، ج ٣ ص ٧٦.

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٢ ص ٣٤٩.

– وهو هنا مصلى العيد – ولأى الله تعالى ورسوله ﷺ ، ولهذا كان في ذلك الجمع المبارك الحَيَّض ، وصغار السن ، وهم غير مكلفين بالصلاة .

ولقاءات كهذه هي من شعائر الله تبارك اسمه ، وتعالى ذكره ، التي أمر المسلمون بتعظيمها ، وهي علامة على تقوى القلوب ، كما هو الشأن في صلاة الجمعة والجماعات ، والوقوف بعرفة ، قال الله ﷻ ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] .

ولو أن أكثر المسلمين أدركوا هذه الحقيقة لما كنا وجدنا في مساجدنا موضع قدم لمصلٍّ ؛ من شدة ازدحامهم فيها ولأى الله تعالى ، ورسوله محمد ﷺ .

هذا والله تعالى أعلم ، وإلى لقاء الغد – بإذن الله تعالى – أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله ﷻ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة السادسة والعشرون

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات! انتهت وقفتنا مع ما يُشرع فعله ليلة العيد حتى صلاة العيد .

أما اليوم فأبدأ حديثي معكم - بإذن الله تعالى - بأهم أعمال وآداب عيد الفطر ، وقبل ذلك يحسن بي أن أجيب عن سؤال يقول: لماذا سمي العيد عيداً؟ .
(سمي العيد عيداً ؛ لأنه يعود كل سنة بفرح مُجدّد ، ويقال: عَيّد المسلمون: أي شهدوا عيدهم)^(١) .

أما أهمُّ أعمال وآداب عيد الفطر ، فهي :

❖ أولاً - صلاة العيد: وأداؤها معروف لأكثر المسلمين إن لم يكن لجميعهم .

❖ ثانياً - البهجة والسرور :

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة: عود .

الإسلام - أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! - دين شامل كامل ، يصلح لكل زمان ومكان ، فهو يحكم علاقة الإنسان بربه ﷻ وبنفسه وبمجتمعه ، والإنسان مع نفسه تعثره الأفراح والأتراح ، والله ﷻ يريد من المسلم أن يعبدَه مهما تقلبت به الحياة ، وتغيّرت به الأحوال ، وما الصلاة والزكاة والصوم والحج إلا أفراد مهمة في المفهوم العام لعبادة الله تعالى .

مستمعيّ الأفاضل ! تعالوا نقرأ معاً قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

فهل أبقت هاتان الآيتان الكريمتان شيئاً مما أباحه الله ﷻ لم تدخله في عموم العبادة ؟! فالصلاة والنسك - وهو الذبح - عبادتان معروفتان ، قال الله تعالى فيهما : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴾ [الكوثر: ٢] .

لكنّ أمراً غفل عنه كثير من الناس - والله المستعان - ، وهو أن عبادة الله ﷻ لا تنقطع أبداً ، فهي ممتدة من مهد الإنسان إلى لحدّه ، وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فخسروا بغفلتهم تلك أعمالاً ليست من جنس الصلاة والزكاة والصوم والحج - فهذه عبادات مخصوصة لا يجهلها أحد - ، خسروا أعمالاً هي من جملة ما أباحه الله ﷻ من أكلٍ وشربٍ ونومٍ ولُبْسٍ وتنزُّهٍ وتبشُّمٍ وتمتّعٍ إلى ما لا يُحصَر عدده ، فكل ذلك يمكن للمسلم أن يُلحقه بالعبادات التي تنفعه في دنياه وآخرته ، وكيف يكون ذلك ؟ يكون ذلك بحسن القصد ؛ بأن يتوجه بتلك الأعمال إلى الله رب العالمين ، وهو أمر يسيرٌ ، لا يستهلك جهداً ولا وقتاً .

والأدلة على ما ذكرته كثيرة جداً ، أذكر منها حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قال

رسول الله ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِزْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوكَةَ وَالْعِظَمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ». أخرجه الترمذي^(١)، وهو صحيح.

فقول النبي ﷺ عن تلك الأعمال بأنها صدقة، يدل على دخولها في جملة العبادات، لأن الصدقة من أخصّ العبادات.

وفي رواية للحديث ذاته يقول رسول الله ﷺ: «... وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ! قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟! فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرًا». أخرجه مسلم^(٢).

فالجماع كتب الله ﷻ فيه أجراً لكل من أراد أن يعفّ به نفسه عن الحرام، ومن لم تكن هذه نيته، بأن كانت نيته الاستمتاع ليس غير، فقد خسر أجره.

إذن لم يعد خافياً أن الفرح – أو الابتهاج والسرور – هو من جملة ما نتعبد به ربنا ﷻ، وهذا من فضل الله علينا؛ كي نؤجر على كل شيء فعلناه، ما دام الفعل مباحاً، وكانت نيته لله رب العالمين.

ولهذا فإنك واجدٌ في القرآن الكريم ذمّاً بفرح، وثناءً على فرح! وما ذاك إلا لأن الأول لم يكن على الوجه الشرعي، أو كان لا يبتغى به وجه الله تعالى، وأما

(١) برقم: ١٩٥٦.

(٢) برقم: ١٠٠٦.

الثاني فكان على الضد من الأول ، فالآية الكريمة التي ذمت الفرح هي قول الله ﷻ: ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [الفصل: ٧٦] . والآية الكريمة هذه جاءت في سياق آيات يحسن أن نأتي بها حتى تكون صورة الموقف أكثر وضوحاً ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ ٧٦ ﴿ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ٧٧ ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ٧٨ ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُمْ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ٧٩ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ ٨٠ ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [الفصل: ٧٦ إلى ٨١] .

فقارون - صاحب فرعون عليه اللعنة - ، فرح فرح استعلاء واستكبار بما آتاه الله من كنوز ضخمة ، وحمله ذلك على كفران نعمة الله تعالى ، وجحود فضله عليه ، فقال كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ . فماذا كانت نتيجة؟ حُرْم محبة الله ﷻ ، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ أي المستكبرين ، وخسف الله تعالى به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

وأما الآية الكريمة التي زكّت الفرح ، وأثنت عليه ، فهي قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨] .

إنكم لتعلمون - أيها الإخوة والأخوات! - أن فضل الله ﷻ واسع ، ورحمته عامة ، فما من نعمة أنعم الله ﷻ بها عليكم ، معنويةً كانت أو ماديةً إلا وهي داخلة في عموم فضل الله ﷻ ورحمته ، فالإسلام ، والقرآن الكريم ، والعافية ، والمال الحلال ، والبنون ، إلى ما لا يُعد ولا يُحصى ، كل ذلك من فضل الله ﷻ ورحمته الواسعة ، وكلُّه يبعث على الفرح والاستبشار ، ولكن بشرط أن يكون الفرح لله رب العالمين نيةً وتعبيراً ، قصداً وسلوكاً ، وهذا يذكرنا بالآية الكريمة التي استدللنا بها من قريب ، وهي قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] .

والفرح بالعيد - أيها الإخوة والأخوات! - وإظهار السرور به ، والاستبشار بقدومه ، من شعار الدين ، وهو - بموضوعه وقصده - من الفرح المحمود ؛ لأنه يأتي تتويجاً لطاعة الصوم في عيد الفطر ، وطاعة الحج في عيد الأضحى ، ولم يبق إلا التعبير عن الفرح به ، فينبغي أن يكون مشروعاً ، لا كما يحصل عند كثير من الناس في بعض البلاد ، فإنهم يستقبلون حجيجهم بالمعازف والتصوير ، وإطلاق العيارات النارية! .

والفرح بالأعياد أمر متعارف عليه بين الأمم ، فما من أمة إلا ولها عيد يذكرها بحدثٍ تعز به ؛ فهي تبتهج لقدمه ، وقد يكون مثارَ اعتزازها شخصٌ قدَّم لها خيراً ، أو معركةٌ حقق بها الأجداد انتصاراً .

وأهل المدينة المنورة كان لهم قبل الإسلام عيدان في السنة ، هما (النَّيرُوز ، والمهرجان) ، وجاء الإسلام فقدم لأهل المدينة - وللمسلمين كافةً - عيدين بديلين لا ثالث لهما ، وأبطل بهما ما قبلهما ، فلم يعد سائغاً للمسلم أن يحتفل بغيرهما .

ولقد ربط الشرع الحنيف هذين العيدين - الأضحى والفطر - بالعبادة؛ ليكونا بذلك مثار اعتزاز المسلم، ومبعث ابتهاجه وسروره؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَ لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، قَالَ: كَانَ لَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا، وَقَدْ أَبَدَ لَكُمْ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ الْأَضْحَى». أخرجه النسائي^(١)، وهو صحيح.

وكما أسلفت فعيد الأضحى يأتي من بعد عبادة الحج، وعيد الفطر يأتي من بعد عبادة الصوم؛ فالفرح في ديننا - أيها الإخوة المستمعون، والأخوات المستمعات! - مبعثه طاعة الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بامتثال أمره، واجتناب نهيه؛ قال الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ». أخرجه الإمام أحمد^(٢)، وإسناده صحيح.

ومن الأمور التي تَسُرُّ المسلم وتُفرِّحه النصر على أعداء الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أليس كذلك؟! وما النصر - في حقيقة الأمر - إلا ثمرة الطاعة، أعني طاعة الجهاد، قال الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٥، ٤].

وقد يقول قائل: كيف يفرح المسلم بعيد الفطر، ولا يحزن على فوات رمضان؟!.

والجواب - مستمعي الأفاضل! -: يفرح المسلمون بالعيد؛ لأنه مطلوب منهم شرعاً أن يفرحوا به، والمسلم الحق يوظف مشاعره وعواطفه في طاعة الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) برقم: ١٥٥٦.

(٢) برقم: ٢٢١٦٦، وابن حبان: ١٧٦، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

وطاعة رسوله محمد ﷺ ؛ فيُثاب بذلك أجرًا عظيمًا ، وكان من دروس شهر رمضان المبارك التي حفظناها: سُرعة الامتثال ، والدقة في الاستجابة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله محمد ﷺ ، وهذه واحدة .

والثانية: أن المسلمين لما خرجوا من طاعة الصوم دخلوا في طاعة أخرى ، إنها طاعة العيد ، بل هي طاعات كثيرة نحن الآن بصدد بحثها ، وقد تقدمت منها واحدة ، وهي طاعة البهجة والسرور .

هذا والله تعالى أعلم ، وسوف يأتي تمامه في لقاء الغد - بإذن الله تعالى - ، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله ﷻ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة السابعة والعشرون

الحمد لله وليّ الصالحين ، وأفضل الصلاة ، وأتم التسليم على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات! قدمت إليكم مشكورين في الحلقة السابقة واحداً من آداب عيد الفطر ، وهو البهجة والسرور ، أما اليوم فاستهل هذه الحلقة بالأدب الثاني ، وهو:

* التهنئة بالعيد:

التهنئة متى تكون؟ تكون بقدوم خير ، أو بانصراف شر ، أما البشارة – التي تقدم الكلام فيها – فإنها تسبق التهنئة ، لأنها إعلامٌ أو إخبارٌ بحصول ما يَسُرُّ ، لكن التهنئة تكون في إثر البشارة ، وتبقى مدةً بعدها .

والنبي ﷺ هنا أبيّ بن كعب رضي الله عنه على ما آتاه الله من العلم ، فقال له : «وَاللَّهِ ، لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ!» . أخرجه مسلم^(١) . وذلك فيما يرويه أبيّ نفسه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ :

قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللَّهِ، لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ!.

وفي التهنة بالزواج يروي أبو هريرة رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَأَ^(١) الْإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ». أخرجه الترمذي^(٢)، وهو حسن صحيح.

أما التهنة بالعيد، فلم أجد لها - بجهد المتواضع - صيغة في السنة النبوية، إلا ما ذكره ابن حجر العسقلاني، فقد قال رحمته الله: (ورؤينا في المحامليات [يريد أجزاء المحدث المحاملي] بإسناد حسن عن جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ -، وهو تابعي رحمته الله قال: كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا التقوا يوم العيد، يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك^(٣)). فالتهنة دعاء بالخير بما يتفق ومناسبتها، والصحابة رضي الله عنهم إذا تعارفوا على أمر، فالأغلب أنه يكون من السنة المطهرة.

هذا، ولا بأس أن يكون مع التهنة مصافحة، لثبوت فضلها مطلقاً، ومما جاء في فضلها ما يرويه البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا». أخرجه الترمذي^(٤)، وحسنه.

وفي السنة دليل يثبت أن المصافحة مع التهنة كان أمراً معروفاً ومستحباً، وذلك في حديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه الذي مضى بعض منه عند الحديث عن

(١) من الرفاء، وهو الالتئام والاتفاق وحسن الاجتماع. يُنْظَرُ: ابن منظور، لسان العرب، مادة: رَفَأَ.

(٢) برقم: ١٠٩١.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج ٢ ص ٤٤٦.

(٤) برقم: ٢٧٢٧.

البشارة بثبوت عيد الفطر ، وفيه يقول كعب رضي الله عنه : «فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمُّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا ، يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ ، وَيَقُولُونَ : لَتَهْنُكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ ! حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَحَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ يَهْرُولُ ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي ...» . أخرجه مسلم ^(١) .
فقوله : «صَافَحَنِي وَهَنَانِي» دليل على استحباب المصافحة مع التهنة .

وهنا لا بد من التنبيه إلا أن المصافحة يجب ألا تتجاوز الجنس الواحد ، فلا يحل للرجل أن يصافح امرأة أجنبية مهما كانت الأحوال والمناسبات ، ولقد جاء النهي عنه في السنة صريحاً وصحيحاً ، ولو أننا لم نجد الدليل لكانت الفطرة السليمة تأباه ، فكيف وقد حضرت الأدلة - بفضل الله تعالى - ، والتي منها حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ» . أخرجه الطبراني ^(٢) ، وهو صحيح .
والمِخِيطُ : الإبرة .

وقال أيضاً رضي الله عنه : «إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ ...» . أخرجه النسائي ^(٣) ، وهو صحيح .

والتهنة بالعيد كما تكون في اللقاء العابر ، تكون أيضاً بالزيارة المقصودة ، كزيارة الأرحام والأصدقاء ، وتشهد لها عموم الأدلة ، فمن ذلك ما رواه عبد الله ابن سلام رضي الله عنه قال : «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ ... كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ ، أَنْ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا

(١) برقم : ٢٧٦٩ .

(٢) ج ٢٠ ص ٢١٢ ، رقم : ٤٨٧ ، ورجاله رجال الصحيح . الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ٤ ص ٣٢٦ .

(٣) برقم : ٤١٨١ ، عن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها ، صحيح .

بِاللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ». أخرجه ابن ماجه^(١)، وهو صحيح.

ونقل إليكم - مستمعي الأعزاء! - في فضل التزاور هذا الحديث القدسي، وهو عن معاذ بن جبل رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَادِلِينَ فِيَّ». أخرجه الإمام أحمد^(٢)، وهو صحيح.

والأفضل أن نَعْمُرَ زيارات العيد بدارسة بعض المسائل العلمية، أو بتبادل الآراء في قضايا تُهَمُّ المسلمين، وهذا لا يمنع من تبادل كلمات الترحيب، ومُلَحِّ الحديث، والطُرف البريئة إظهاراً للابتهاج بالعيد، وهو ما سأتناوله لاحقاً بإذن الله تعالى.

ولا بأس أيضاً أن تكون تحفة الزائر - من طعام أو شراب - في أيام العيد أوسع مما عليه من قبل، وبحسب الإمكان، فأيام العيد أيام أكل وشرب، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال - وهو في منى، في حجة الوداع -: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ؛ فَلَا يَصُومُهَا أَحَدٌ...». أخرجه أحمد^(٣)، وهو صحيح.

والحديث وإن كانت مناسبته عيد الأضحى، إلا أن عيد الفطر يلتقي معه في حرمة صومه، فدل على أنه يوم أكلٍ وشُرْبٍ أيضاً.

وفي تحريم صوم يوم عيد الفطر يروي البخاري^(٤) عن أمير المؤمنين عمر بن

(١) برقم: ٣٢٥١.

(٢) برقم: ٢٢٠٣٠.

(٣) برقم: ٥٦٧.

(٤) البخاري: ٥٥٧١.

الخطاب ﷺ أنه قال وهو يخطب الناس يوم الأضحى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَاكُمْ عَنْ صِيَامِ هَذَيْنِ الْعِيدَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَوْمُ تَأْكُلُونَ مِنْ نُسُكِكُمْ».

والآن أيها الإخوة والأخوات! أنتقل بكم إلى الأدب الثالث من آداب العيد، وهو:

* الرجوع من المصلى ماشياً مع مخالفة الطريق:

أما الرجوع مشياً فلما يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ إِلَى الْعِيدِ مَاشِياً، وَيَرْجِعُ مَاشِياً». أخرجه ابن ماجه^(١)، وهو حسن.

وأما مخالفة الطريق فبأن يرجع من غير الطريق الذي ذهب فيه إلى المصلى لأداء صلاة العيد؛ وذلك عملاً بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ، خَالَفَ الطَّرِيقَ». أخرجه البخاري^(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْعِيدِ^(٣)، رَجَعَ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَخَذَ فِيهِ». أخرجه ابن ماجه^(٤)، وهو صحيح.

فما الحكمة من ذلك أيها الإخوة والأخوات؟

للعلماء في ذلك أقوال كثيرة، أذكر أهمها^(٥):

(١) برقم: ١٢٩٥.

(٢) برقم: ٩٨٦.

(٣) أي: إلى صلاة العيد.

(٤) برقم: ١٣٠١.

(٥) يُنظَر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٢ ص ٤٧٣.

قيل: إن النبي ﷺ فعل ذلك ؛ ليشهد له الطريقان ، وقيل : ليشهد له سكانهما من الجن والإنس .

وقيل : لإظهار شعار الإسلام وذكر الله في الطريقين . وقيل : ليغيظ المنافقين أو اليهود ، ويُرهبهم بكثرة من معه ، ورجحه ابن بطّال رحمه الله .

وقيل : فعل ذلك ليُعَمَّ المسلمون في السرور به ، أو التبرُّك بمروره وبرؤيته ، والانتفاع به في قضاء حوائجهم : في الاستفتاء أو التعلم ، والاقتداء والاسترشاد ، أو الصدقة ، أو السلام عليهم ، وغير ذلك .

وقيل : ليزور أقاربه الأحياء والأموات .

وقيل : لأن الملائكة تقف في الطرقات ، فأراد أن يشهد له فريقان منهم .

وقال ابن أبي جَمْرَةَ رحمه الله : هو في معنى قول يعقوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لَبَنِيهِ : ﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ [يوسف: ٦٧] الآية . فأشار إلى أنه فعل ذلك حذر إصابة العين ، وذلك لكثرة أتباعه ، ووجود أعدائه من اليهود والمنافقين .

هذا والله أعلم ، وسوف يأتي تمامه في لقاء الغد - بإذن الله تعالى - وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه ، وتقبل الله ﷻ منا الصيام والقيام ، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة الثامنة والعشرون

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة ، وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين ! .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ، لا زلت أحدث إليكم عن آداب عيد الفطر ، التي يحسن بالمسلم أن يتحلى بها ؛ كي يعظم أجره ، ويرضى عنه ربه ﷻ ، وقد مضى من تلك الآداب ما يأتي : البهجة والسرور ، والتهنئة بالعيد ، والرجوع من المصلى ما شيئاً مع مخالفة الطريق .

ومن آداب العيد - مستمعي الأعزاء! - :

✽ اللهم المباح :

مما تجب معرفته أن الإسلام دين يعطي كل ذي حق حقه ، ومن حق النفس على صاحبها ترويحها ساعةً من ليل أو نهار ، وهذا الترويح من شأنه أن يُعين النفس على تحمُّل التكليف الشرعي بهمةٍ ونشاطٍ ، وإلا فالنفس لو حُمِلت على الجِدِّ دومًا ، لسئمت ومَلَّت ، وهذا ما تصدَّقه السُّنة النبوية ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : « قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ ، وَتَصُومُ النَّهَارَ ؟ قُلْتُ : إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ . قَالَ : فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ، هَجَمَتْ عَيْنُكَ ^(١) ،

(١) غَارَتْ ودخلت في موضعها . ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٥ ص ٢٤٧ .

وَنَفَهَتْ نَفْسُكَ^(١)، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا، وَلَآهْلِكَ حَقًّا؛ فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ». أخرجه البخاري^(٢).

وإلى هذا المعنى أرشد نبينا محمدٌ ﷺ الصحابي حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَسَدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلنستمع إليه، وهو يروي لنا خبره، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... لَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟! قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ! فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ؛ فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ، إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا ذَاكَ؟! قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ! وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». أخرجه مسلم^(٣).

قوله ﷺ: «لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي» معناه^(٤) لو أنكم في معاشكم وأحوالكم كحالتكم عندي من الذكر والمشاهدة - حتى كأنكم ترون الجنة والنار -، لصافحتكم الملائكة، ودل أن عدم دوام العبد على تلك الحالة لا يوجب معتبة؛

(١) أَعْيَتْ وَكَلَّتْ. المصدر نفسه، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥ ص ١٠٠.

(٢) برقم: ١١٥٣.

(٣) برقم: ٢٧٥٠.

(٤) يُنْظَرُ: الْمُناوِي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٥ ص ٣١٠.

لما طُبِعَ عليه البشر من الغفلة .

وقوله ^(١) ﷺ: «سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ» أي ساعة لأداء العبودية ، وساعة للقيام بما يحتاجه الإنسان .

والآن - أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات! - أسوق إليكم بعض الأدلة في العيد خاصة ، وهي تُثبت أن اللهو المباح أدبٌ من آداب العيد ، يُظهر جمال الإسلام ويُسرّه ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كَانَ لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، يَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ ، قَالَ : كَانَ لَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، وَقَدْ أَبَدَلَكُمْ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا : يَوْمَ الْفِطْرِ ، وَيَوْمَ الْأَضْحَى» . أخرجه النسائي ^(٢) ، وهو صحيح .

وموطن الشاهد في الحديث ذكرُ اللعب في العيد ، فالنبي ﷺ لم يعترض على لعب أهل الجاهلية في عيديهما ، وإنما كان اعتراضه على العيدين خاصة ، فهما من أعياد الجاهلية التي لا تقوم على مبدأ التوحيد ، ولكن على الشرك والخرافة .

والبرهان على أن اللعب لم يكن المقصود من استبدال عيدي أهل المدينة بعيدي الفطر والأضحى ، أن النبي ﷺ أقرَّ اللعب بعيدي الفطر والأضحى ، بل شهد وشجّع ، يُعلّم هذا مما ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت : «دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ - تَلْعَبَانِ بِدُفٍّ - مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ ، تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثٍ ^(٣) . قَالَتْ : وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ ^(٤) . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه :

(١) يُنظر: ابن علان ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، ج ٢ ص ٤٠٦ .

(٢) برقم : ١٥٥٦ .

(٣) أي من الشعر في معركة بُعَاث بين الأوس والخزرج قبل إسلامهم .

(٤) أي ليستا بمحترفتين لمهنة الغناء ، ولا خبرة لهما به . كأن الاحتراف بالغناء أخذ بالظهور يوم =

أَبِمَزْمُورِ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ^(١)؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا». أخرجه البخاري^(٢).

وفي رواية أخرى قالت عائشة رضي الله عنها: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ: لَتَعْلَمَ يَهُودُ أَنْ فِي دِينِنَا فُسْحَةٌ، إِنَّي أُرْسِلْتُ بِخَنِيفَةٍ سَمْحَةٍ». أخرجه أحمد^(٣)، وسنده حسن.

وأضافت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما في رواية: «... وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالْدَّرَقِ^(٤)، وَالْحَرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ: خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ!، حَتَّى إِذَا مَلَلْتُ؛ قَالَ: حَسْبُكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَادْهَبِي». حديث متفق عليه^(٥).

وتختم الحديث بقولها كما في رواية: «... فَأَقْدُرُوا قَدَرَ الْجَارِيَةِ، الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ». أخرجه البخاري^(٦). فهي تشير إلى إذن النبي ﷺ لها في النظر إلى الحبشة، وهم يلعبون تقديرًا منه ﷺ لصغر سنّها.

ويحذر ابن حجر العسقلاني رحمه الله من تحميل أدلة اللهو أكثر مما تدل عليه - كما يفعل بعض الناس في زماننا، والله المستعان -، فيقول: (والأصل التنزه عن

= روت عائشة رضي الله عنها هذا الحديث، وهي التي عاشت إلى سنة (٥٧هـ)، وكانت مساحة الخلافة قد اتسعت، واختلط العرب بالعجم، وهم أهل غناء وطرب.

(١) عند ابن ماجه - ١٨٩٨ - : «عيد الفطر». صحيح.

(٢) برقم: ٩٤٩ و ٩٥٠، ومسلم: ٨٩٢.

(٣) برقم: ٢٤٨٥٥.

(٤) الواحدة: دَرَقَة، وهي تُرْس تتخذ من جلود. يُنْظَرُ: ابن منظور، لسان العرب، مادة: درق.

(٥) البخاري: ٩٥٠، ومسلم: ٨٩٢.

(٦) برقم: ٤٨٣٥، ومسلم: ٨٩٢.

اللعب واللهو ، فيُقتَصَر على ما ورد فيه النص وقتاً وكيفية ؛ قليلاً لمخالفة الأصل ، والله أعلم^(١) .

وهكذا - أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! - أذن النبي ﷺ لسودان الحبشة أن يلعبوا بآلة الحرب في المسجد - كما صرحت بذلك الروايات الصحيحة - ؛ لأن ذلك اللعب يحقق للنفس ترويحاً ، ويُعد للمعركة جنوداً .

وفي روايةٍ للحديث ، أن الحبشة كانوا يمارسون ألعابهم ، وهم يهتفون ، ويتكلمون بكلام لهم ، لا يفهمه الرسول ﷺ : فقال : « ما يقولون ؟ قالوا : يقولون : محمد عبد صالح ! » . والحديث أخرجه ابن حبان^(٢) ، وإسناده صحيح .

أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! هذا النوع من اللهو النافع لم يستغن عنه جلُّ الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعون لهم بإحسان ، فعن عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه قال : « رأيت جابر بن عبد الله ، وجابر بن عمير الأنصاري رضي الله عنهما يرتيمان^(٣) ، فمَلَّ أحدهما فجلس ، فقال له الآخر : كسِلْتَ ؟ ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ ، فَهُوَ لَهُوَ أَوْ سَهُوَ إِلَّا أَرْبَعَ خِصَالٍ : مَشْيَ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرْضَيْنِ ، وَتَأْدِيَةُ فَرَسِهِ ، وَمُلَاعَبَةُ أَهْلِهِ ، وَتَعَلُّمُ السَّبَاحَةِ » . أخرجه الطبراني^(٤) ، وهو صحيح . قوله : (الغرضين) : هما مثنى غرض ، وهو الهدف الذي يُرمى .

أرايتم - أيها الإخوة والأخوات ! - كيف قرن النبي ﷺ بين اللهو مع الأهل

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٤٤٣ .

(٢) برقم : ٥٨٧٠ ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) يرتيمان السهام .

(٤) ج ٢ ص ١٩٣ ، برقم : ١٧٨٥ ، قال المنذري - الترغيب والترهيب : ج ٢ ص ١٨٠ - : إسناده جيد . ويُنظر : الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٣١٥ . وأخرجه - عن عقبة بن عامر رضي الله عنه - أصحاب السنن الأربعة ، وأحمد : ١٧٣٠٠ ، وقال محققه شعيب الأرناؤوط : حسن بمجموع طرقه وشواهده .

بالملاعبة والمداعبة، وبين اللهو الذي يخدم المعركة، كالرماية والفروسية والسباحة، وفيه ما لا يخفى من ترغيبٍ للآباء والأزواج في مداعبة الأهل وملاعبتهم - بالقدر المطلوب - في أيام السنة عامةً، وفي أيام العيد خاصةً؛ لأن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين، كما قال ابن حجر العسقلاني رحمته الله ^(١).

وخلاصة القول في اللهو - أيها الإخوة، والأخوات! -: إن اللهو في الإسلام لا بد أن تكون له غايةٌ طيبة، ولا بد أن تكون ممارسته نافعة؛ فاللهو في زمن سلفنا الصالح كان نافعاً؛ يؤيد الرجولة، ويخدم المعركة؛ فكان من لهوهم: اللعب بالحراب، ورمي النبال، والمسابقة على الخيل والجمال، ونحو ذلك. وكانوا رحمهم الله ربما استمعوا إلى الشعر والحُدا تشويقاً إلى البذل والبناء؛ فمع السماع النظيف بنوا مساجدهم، وحفروا خنادقهم، وسيروا كتائب الجهاد.

وأما اللهو المستورد، والذي غزا - بكل أسف - بلادنا، فهو لهوٌ يقوم على إغراق شبابنا في ما يضرهم ولا ينفعهم، هو لهوٌ يعطل الفكر، ويوهن الجسم، ويبدد المال، ويقضي على الأخلاق، ويدفع بالشباب إلى اللامبالاة بما يجري حولهم من أحداثٍ جسام، كما يدعوهم إلى الفاحشة، وحبّ الانتقام من الصديق قبل العدو، وحتى الرياضة غدا النافع منها للمتعة والمشاهدة والتشجيع، وتضييع الوقت، أما ممارسة الرياضة التي يرجى منها تقوية البدن فقد بزنا فيها غيرُنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا والله أعلم، وسوف يأتي تمامه في لقاء الغد - بإذن الله تعالى -، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه، وتقبل الله رحمته منا الصيام والقيام، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار، وصلى الله على سيدنا

محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحلقة التاسعة والعشرون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين .

اللهم ، لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، فإنك إذا شئت جعلت الحزن سهلاً ، سهّل لنا أمورنا ، واشرح صدورنا ، واهدِ قلوبنا ، وسدّد ألسنتنا .

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون والأخوات المستمعات ! لا زلت أتحدث إليكم عن آداب عيد الفطر ، التي يحسن بالمسلم أن يتحلّى بها ؛ كي يعظّم أجره ، ويرضى عنه ربه ﷻ ، وقد مضى من تلك الآداب ما يأتي : البهجة والسرور ، والتهنئة بالعيد ، والرجوع من المصلى ما شياً مع مخالفة الطريق ، واللهو المباح .

ومن آداب العيد - مستمعي الأعزاء ! - :

✽ التوسعة على العيال :

قال الله - سبحانه تعالى - : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٤] .

قال شيخ المفسرين ، أبو جعفر الطبري رحمه الله : (وأولى الأقوال بالصواب ، قول من قال : معناه : تكون لنا عيداً ، نعبد ربنا في اليوم الذي تنزل فيه ، ونصلي له فيه ، كما يعبد الناس في أعيادهم ؛ لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم في العيد ما ذكرنا ... وأما قوله : ﴿ عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ ، فإن الأولى من تأويله

بالصواب قول من قال: تأويله: للأحياء منا اليوم، ومن يجيء بعدنا منا...^(١).

وقول الطبري: (تكون لنا عيداً، نعبد ربنا في اليوم الذي تنزل فيه) يدل على أن الأعياد من الأمور التعبدية؛ فهي لا تدخل في حيز الاجتهادات، نعم هناك ذكريات، هناك أمسيات، هناك مناسبات، ونحوها.

ففي عيد الفطر صدقة الفطر، وصلاة العيد، وهما عبادتان، أليس كذلك؟ وفي عيد الأضحى صلاة العيد، وذبحٌ للأضاحي، وهما عبادتان أيضاً.

أيها الإخوة والأخوات! وإنزال المائدة في يوم يكون عيداً يدل على أن من مظاهر العيد التوسعة على الأهل - ومن يلوذ بهم - في الطعام والشراب واللباس، وما إلى ذلك، وتروي^(٢) بعض كتب التفسير أن نزول المائدة على نبي الله عيسى وأتباعه - على نبينا وعليه السلام - كان بعد ما صاموا شهراً كاملاً، فوسّع الله ﷻ عليهم، ورزقهم في يوم فطرهم.

وهذا يذكرنا - مستمعي الأفاضل! - بما رواه البخاري^(٣) عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال - وهو يخطب الناس يوم الأضحى -: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَاكُمْ عَنْ صِيَامِ هَذَيْنِ الْعِيدَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَوْمُ تَأْكُلُونَ مِنْ نُسُكِكُمْ».

كما يذكرنا بما قاله رسول الله ﷺ في أيام عيد الأضحى، فقد قال: «إِنَّ هَذِهِ أَيَّامَ أَكَلٍ وَشُرْبٍ؛ فَلَا يَصُومُهَا أَحَدٌ...». أخرجه أحمد^(٤)، وهو صحيح.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٩ ص ١٢٤.

(٢) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٦ ص ٣٦٩.

(٣) برقم: ٥٥٧١، كما تقدم.

(٤) برقم: ٥٦٧.

ولسائل أن يسأل: ما الحكمة من التوسعة على العيال في العيد؟.

والجواب: في التوسعة على الأهل والعيال في العيد عون للنفس على أداء طاعة الصوم، فالنفس أشبه ما تكون بالصبي الذي يفرح بزينة الحياة الدنيا من طعام وشراب، ومن لباسٍ ولعبٍ، وواقع الصبية يصدق ذلك، فإن كثيراً منهم الذي يصوم فرحاً بهدية العيد وزينته؛ لأنه يشعر أن فرحة العيد وبهجته حق للصائمين، ولا بأس أن يُنظر إلى النفس من هذا المنظور، ما دام في ذلك مصلحة شرعية، ولقد جاء من حديث نبينا محمد ﷺ: «... وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا». أخرجه البخاري^(١).

أيها الإخوة المستمعون، والأخوات المستمعات! ومن آداب عيد الفطر:

* التصدق على الفقراء:

يستحب منا - مستمعي الأفاضل! - الإكثار من فعل الخيرات في الأيام المباركة، وذلك انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. فالله ﷻ يُحسن إلى عباده في العيد إحساناً عظيماً، وهم يقابلون إحسانه بالإحسان إلى الفقراء والمساكين؛ لأن الله ﷻ غني عن إحسانهم، وهو الغني عن العالمين.

وهذا التصدق لا أعني به صدقة الفطر، التي مضى وقتها بأداء صلاة العيد، وهي زكاة واجبة، كما تقدم بيانه، لكنني أعني التصدق على الفقراء والمساكين في العيد، والذي هو من نوافل الطاعات.

ومن حِكَم صدقة العيد: أن فيها تعويضَ الفقير عن صدقة الفطر التي كان

دفعها، وفيها أيضاً إغناء المُعْدِمِينَ الذين لم تجب عليهم صدقة الفطر أصلاً.

مستمعي الأعزاء! انظروا إلى رحمة الإسلام بالفقراء، كم هي عظيمة؟! فالفقير الذي يملك من القوت ما يزيد عن كفايته في اليوم والليلة؛ وجبت عليه زكاة الفطر عند جمهور الفقهاء - كما ذكرنا في إحدى الحلقات السابقة -، فأداها، ولكنه في الوقت نفسه له أن يقبل صدقة الفطر من الأغنياء، فهو يدفع مرة واحدة؛ ليعتاد البذل والعطاء، فيُعَوِّض عنها بمرات، ثم تأتي صدقة العيد النافلة؛ لتعود عليه، وعلى من لم يُفْطِن إليه من الفقراء بالعطاء مرة أخرى.

ومن حكمة صدقة العيد أنها لا تُبْقِي في العيد محروماً، وبذلك يعيش المسلمون - كُلُّ المسلمين - في بُحْبُوحَةٍ، ويجعلون من أيام العيدين أيام أكلٍ وشربٍ وإظهارٍ للنعمة، كما أرادها النبي ﷺ، وقد تقدم حديثه في ذلك ﷺ.

وتصوروا معي - مستمعي الأفاضل! - حال الفقراء في العيد إذا لم يَمُدَّ إِلَيْهِمُ الأغنياءُ يد المساعدة، فلا الغني حينئذٍ سيهنأ بعيده، إذ كيف تطيب نفسه بإظهار نعمة الله عليه ومن حوله الفقراء والمساكين والسائلون؟!.

وأما الفقير فلن يكون أحسن حالاً من الغني، بل ربما وَلَدَ ذلك عنده بغضاً للأغنياء، وعدَّهم السببَ الرئيس في بؤسه وفقره، والأغنياء المقصرون هم - بلا شك - عامل مهمٌّ في نشر الفقر بين المسلمين، فعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَغْنِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ الَّذِي يَسْعُ فَقَرَاءَهُمْ، وَلَنْ تُجْهَدَ الْفُقَرَاءُ إِذَا جَاعُوا وَعَرُّوا إِلَّا بِمَا يَصْنَعُ أَغْنِيَاؤُهُمْ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُحَاسِبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابًا شَدِيدًا، ثُمَّ يَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا». أخرجه الطبراني في معجميه^(١): الأوسط والصغير، ورواته لا بأس بهم، وروي موقوفاً

(١) في الصغير: ٤٥٣، والأوسط: ٣٥٧٩. قال الحافظ المنذري: قال الطبراني: (تفرد به ثابت بن =

على علي عليه السلام ، وهو أشبه .

وبغضُ الفقراء للأغنياء قد يؤدي بهم إلى أن يحسدوهم ؛ فينالهم من ذلك ضرر كبير ، وخاصةً في أيام العيد ، حيث تظهر النعم ، فعن ابن عباس عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الْعَيْنُ حَقٌّ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ ، سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ ... » . أخرجه مسلم ^(١) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ ، سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ » (معناه أن الأشياء كلها بقدر الله تعالى ، ولا تقع إلا على حسب ما قدرها الله تعالى ، وسبق بها علمه ، فلا يقع ضرر العين - ولا غيره من الخير والشر - إلا بقدر الله تعالى . وفي الحديث صحة أمر العين ، وأنها قوية الضرر ، وهو ما عليه جماهير العلماء ، والله أعلم) ^(٢) .

وفي الحديث أيضاً (تأكيدٌ وتنبيهٌ على سرعة نفوذ العين وتأثيره في الذات ... فلو فرض أن شيئاً له قوةٌ بحيث يسبق القدرَ لكان العين ، لكنها لا تسبق القدر) ^(٣) .

وقال بعض العلماء : إن العين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد ، ولو من الرجل المحب ، ومن الرجل الصالح ، وأن الذي يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة ، ويكون ذلك رُقِيَةً منه ، كأن يقول : تبارك الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ! . وإن الإصابة بالعين - مستمعي الكرام ! - قد تقتل ؛ نسأل الله تعالى السلامة .

= (محمد) الزاهد . وثابت ثقة صدوق ، روى عنه البخاري وغيره ، وبقية رواته لا بأس بهم ، وروي موقوفاً على علي عليه السلام وهو أشبه . يُنظر : الترغيب والترهيب ، ج ١ ص ٣٠٦ .

(١) برقم : ٢١٨٨ .

(٢) النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج ١٤ ص ١٧٤ .

(٣) يُنظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٠ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ .

أيها الإخوة الصائمون ، والأخوات الصائمات ! إليكم الآن بعض الأدلة على استحباب الصدقة يوم العيد ، فعن أبي سعيد الخدري « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ ، فَيَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ ، فَإِذَا صَلَّى صَلَاتَهُ وَسَلَّم قَامَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي مُصَلَّاهُمْ ... وَكَانَ يَقُولُ : تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ ... » . أخرجه مسلم^(١) .

وأخرج الإمام مسلم^(٢) عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : « شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْعِيدِ ، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ ، ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ ، فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَرَهُمْ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ ، فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَرَهُنَّ ، فَقَالَ : تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ ! فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ^(٣) ، سَفَعَاءُ الْخَدَّيْنِ^(٤) ، فَقَالَتْ : لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ تَكْثُرْنَ الشَّكَاةَ^(٥) ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ! قَالَ : فَجَعَلَنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ ، يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ » . وزاد في رواية : « قَلَائِدُهُنَّ » والأقربة : جمع قُرْط ، وهو من حُلِيِّ الْأُذُنِ .

وقوله ﷺ : « تَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ » العشير : الزوج ، أي : تَجْحَدْنَ حق الزوج .

وفي حديث آخر بيانٌ لمعنى كُفْرَانِ الْعَشِيرِ ، فعن ابن عباسٍ ﷺ قال : قال

(١) البخاري : ١٤٦٢ ، وسلم : ٨٨٩ ، واللفظ له .

(٢) برقم : ٨٨٥ .

(٣) أي كانت في وسطهن . يُنْظَرُ : النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج ٦ ص ١٧٥ .

(٤) أي : فيها تعبيرٌ وسواد . المكان نفسه .

(٥) يُظْهِرْنَ التَّشَكِّيَّ كَثِيرًا . أبو العباس القرطبي ، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، ج ٢

النبي ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ؛ يَكْفُرْنَ! قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟! قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ؛ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ». أخرجه البخاري^(١).

أيها الإخوة المستمعون، والأخوات المستمعات! قد تثير الأدلة التي سقتها إليكم في صدقة العيد بعض التساؤلات لديكم، والتي منها:

أظهر الحديث الشريف أن المرأة في يوم العيد كانت أكثر تصدقاً من الرجل، فلماذا؟ وهذا أولاً.

ثانياً - هل يجوز للمرأة أن تتصدق بمالها من دون أن يأذن لها زوجها؟.

ثالثاً - هل يجوز إعطاء صدقة الفطر أو صدقة العيد لغير المسلم؟.

وهذا ما سوف أجيب عنه في الحلقة القادمة - بإذن الله وعونه -، وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه، وتقبل الله من الصيام والقيام، وجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم من النار، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الحلقة الثلاثون

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، ويرد نقمه ، وصلى الله على سيدنا وقودتنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ، علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين يا أرحم الراحمين !.

وبعد ، فيا أيها الإخوة المستمعون ، والأخوات المستمعات ! كما وعدتكم في الحلقة السابقة ، فإنني أستهل هذه الحلقة بالإجابة عن هذه الأسئلة :

جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - المتفق عليه - أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبة العيد : «تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا . وَكَانَ أَكْثَرُ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ» . فلماذا؟.

ثانياً - هل يجوز للمرأة أن تتصدق بمالها من دون أن يأذن لها زوجها؟.

ثالثاً - هل يجوز إعطاء صدقة الفطر أو صدقة العيد لغير المسلم؟.

أمّا أن النساء كنَّ أكثر تصدقاً من الرجال ، حتى بلغ بهن الحال أن يتصدقن بالحلي ، وهو أغلى وأفضل ما تعتر به النساء ؛ فلأن المرأة بطبيعتها العاطفية التي جبلها الله ﷻ عليها تكون شديدة التأثر والانفعال مع الوقائع الطارئة ؛ فالنبي الصادق المصدوق ﷺ يخبر النساء بأنهن أكثر أهل النار ، وذكر لهن السبب ، وهو

كتمان إحسان أزواجهن ، وإظهار التشكي كثيرًا ، كما ذكر لهن وسيلة النجاة ، ذكر لهن الصدقة ، فكيف كانت استجابتهن لدعوة النبي ﷺ ؟ كانت استجابتهن كاملة ، وتأثرهن تأمًا ؛ حتى لم تعد المتصدقة منهن تذكر أن النار يمكن أن تُتَّقَى بشق تمرّة ، كما ثبت في صحيح البخاري^(١) ، فأخذن يَتَّقِينَها بحُلِيِّهن ! .

ومن هذا يُعَلَم أن المرأة تستجيب لداعي العاطفة أكثر مما تستجيب لداعي العقل ، والاستجابة العاطفية غالبًا - إذا لم يكن قطعًا - ما تكون أكبر وأعظم من الاستجابة العقلية ، ولهذا كان تصدُّق النساء أكثر من تصدُّق الرجال ، كما ثبت في الحديث الشريف ، والله تعالى أعلم .

وما يمكن قوله في الجواب عن السؤال الثاني : يجوز للمرأة أن تتصدق بمالها من دون أن يأذن لها زوجها ، ما دامت رشيدة ؛ لأن الإسلام أقر بملكية المرأة ، شأنها في ذلك شأن الرجل تمامًا ، شهدت بذلك الأدلة القطعية في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وهو ما عليه إجماع الأمة ، فمن تلك الأدلة قول الله ﷻ : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧] .

وإن من لازم الملك حقّ التصرف في المملوك ، وعليه فإن للمرأة الحقّ الكامل في التصرف بمالها ما دامت أهليتها كاملة ، فهي تبيع وتشتري ، وتهب ، وتُعِير ، وتجب في مالها الزكاة إذا بلغ النصاب ، إلى ما هنالك من وجوه التصرف بالمال .

لكن هناك حديث شريف ربما أثار التساؤل عند بعض الإخوة ؛ لأن ظاهره

(١) عن عدي بن حاتم ؓ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » . أخرجه البخاري : ١٤١٧ .

ربما أفاد تقييد ملكية المرأة إلى حدٍّ ما ، وهو عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَجُوزُ لِمَرْأَةٍ أَمْرٌ فِي مَالِهَا [وفي رواية: «هَبَةٌ فِي مَالِهَا» ، وفي رواية: «عَطِيَّةٌ»] إِذَا مَلَكَ زَوْجُهَا عَصَمَتَهَا ». أخرجه أبو داود ^(١) ، وهو حسن صحيح .

ولقد أجاب فقهاؤنا عن هذا الحديث إجابات عدة ، كان منها :

(هو عند أكثر العلماء على معنى حسن العشرة ، واستطابة نفس الزوج ، ونُقل عن الشافعي رحمته الله أن الحديث ليس بثابت . وكيف نقول به والقرآن يدل على خلافه ، ثم السُّنة ، ثم الأثر ، ثم المعقول ، ويمكن أن يكون هذا في موضع الاختيار ، كما قيل : ليس لها أن تصوم يوماً ، وزوجها حاضر إلا بإذنه ، فإن فعلت جاز صومها ، وإن خرجت بغير إذنه فباعت ، جاز بيعها ، وقد أعتقت ميمونةً - أم المؤمنين رضي الله عنها - قبل أن يعلم النبي ﷺ ، فلم يَعب ذلك عليها ، فدل هذا - مع غيره - على أن هذا الحديث إن ثبت فهو محمول على الأدب والاختيار . [وليس على الوجوب] .

وقال البيهقي : إسناده هذا الحديث إلى عمرو بن شعيب ^(٢) صحيح ، فمن أثبت عمرو بن شعيب ، لزمه إثبات هذا ، إلا أن الأحاديث المعارضة له أصح إسناداً ، وفيها ... دلالة على نفوذ تصرفها في مالها دون الزوج ، فيكون حديث عمرو بن شعيب محمولاً على الأدب والاختيار كما أشار إليه الشافعي رحمته الله ، والله تعالى أعلم ^(٣) .

(١) برقم : ٣٥٤٦ ، ٣٥٤٧ ، والنسائي : ٢٥٤٠ ، ٣٧٥٦ ، وابن ماجه : ٢٣٨٨ .

(٢) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ج ٢٢ ص ٦٤ . فعمره يروي عن أبيه شعيب ، وهذا يروي عن جده الصحابي عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٣) السُّنَدِي ، حاشية السندي على سنن النسائي ، ج ٦ ص ٢٧٩ . ويُنظر : البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ٦ ص ١٠٠ .

ومن العلماء من قال:

قوله ﷺ: « لا يَجُوزُ لَامْرَأَةٍ أَمْرٌ فِي مَالِهَا » (أي في مالٍ في يدها لزوجها، أضيف إليها مجازاً؛ لكونه في تصرفها، فيكون النهي للتحريم، أو المراد مالُ نفسها... فلا ينبغي لها أن تتصرف في مالها إلا بمشورة زوجها أدباً واستحباباً، فالنهي للتنزيه... وذهب الجمهور إلى أنه يجوز لها مطلقاً من غير إذن من الزوج إذا لم تكن سفیهة، فإن كانت سفیهة [أي غير عاقلة] لم يجز... وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال للنساء: «تَصَدَّقْنَ»، فجعلت المرأة تلقي القُرْط والخاتم، وبلال يتلقاها بكسائه، وهذه عَطِيَّةٌ بغير إذن أزواجهن^(١).

وجواباً عن السؤال الثالث أقول: الصدقات الواجبة - كزكاة المال، وزكاة الفطر، والكفَّارات، والنذور - لا تعطى إلا للمسلم، أما الصدقات النافلة - غير الواجبة - فيصح توزيعها على المسلم والكافر أيضاً، ما لم يكن حربياً، بمعنى أنه من قومٍ يحاربون المسلمين بأيديهم أو بأموالهم أو بألسنتهم، والله تعالى أعلم.

وفي الختام:

أذكركم - أيها الإخوة المستمعون، والأخوات المستمعات! - بصوم ستة أيام من شوال، وهي مع صوم رمضان تعدل صوم السنة، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه... أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ». أخرجه مسلم^(٢).

كما أذكركم بصيام ثلاثة أيام من كل شهرٍ قمريٍّ، وخصوصاً أيام الثالث

(١) أبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج ٩ ص ٣٣٥ إلى ٣٣٦.

(٢) برقم: ١١٦٤.

عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وهي الأيام البيض، وذلك من شدة بياض القمر فيها، وشدة إضاءته؛ لأنه في تلك الليالي يكون بدرًا، وهذه الأيام أيضًا من صامها بعد صوم رمضان فكأنه صام السنة كلها؛ لأنه لما كانت الحسنة بعشر^(١) أمثالها، كان من صام ثلاثة أيام كمن صام شهرًا، وهي تتكرر - كما تعلمون - في السنة إحدى عشرة مرة في أحد عشر شهرًا، سوى شهر رمضان، فهي مع رمضان سنة كاملة، والدليل على استحباب صومها ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام». أخرجه البخاري^(٢).

وهناك أيام أخرى يُسن صومها، وهي لا تخفى على أحبّاء الله تعالى، الذين يتقربون إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، ففي الحديث القدسي يقول الله ﷻ فيما يرويه عنه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «... وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ...». أخرجه البخاري^(٣).

وأفاد الحديث فضلاً عن محبة الله ﷻ للمتقربين إليه بالنوافل، أفاد أن الله ﷻ يعينهم على استعمال جوارحهم في طاعته.

وأذكركم - أعزائي الصائمين! - أن أجر الصوم يدوم بدوام آثاره، فطوبى

(١) أي: بعشر حسنات أمثالها؛ لأن العدد عشرة يخالف المعدود في التذكير والتأنيث. ويمكن أن يقال: بعشرة أمثالها إذا كان المعدود هو المثل. والله تعالى أعلم.

(٢) برقم: ١٩٨١.

(٣) برقم: ٦٥٠٢.

لمن بقيت آثار الصوم فيه إلى رمضان آخر، ورمضاناتٍ أُخر، وبذلك تُغفر الخطايا والذنوب، وتطيب الأنفس، وتصفو القلوب، ويرضى علام الغيوب، ﷻ.

بقي في خاتمة الختام أن أذكركم - أحبائي المستمعين! - بمقررات مدرسة رمضان، ومكافآتها، وعقوباتها، كما مرت في حلقات هذا البرنامج المبارك بإذن الله تعالى، أسرّدها عليكم سرّداً من دون أي تفصيل:

أما مقررات مدرسة رمضان، أو موادّها، فهي عشرة:

أولاً - ثقافة رمضان.

ثانياً - صوم البطن والفرج.

ثالثاً - صوم اللسان والجوارح.

رابعاً - التوازن النفسي مع النعمة وجوداً وعدمًا.

خامساً - إرغام الشيطان.

سادساً - الهمة والنشاط.

سابعاً - الجود والكرم.

ثامناً - التحرر من قيد العادة.

تاسعاً - احترام الوقت.

عاشراً - الإخلاص.

وأما مكافآت مدرسة رمضان، فهي:

أولاً - التقوى.

ثانياً - إجابة الدعاء .

ثالثاً - ابتهاج الصائم بصومه .

رابعاً - عظم الأجر .

خامساً - غفران الذنوب .

سادساً - خُلو فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

سابعاً - باب في الجنة للصائمين حصراً .

ثامناً - شفاعة الصوم للصائمين .

تاسعاً - من مات صائماً دخل الجنة .

عاشراً - عِتْقُ للرقاب من النار مع كل وجبة إفطار .

وأما عقوبات مدرسة رمضان ، ففي الدنيا مفطر رمضان بغير عذر إن كان جاحداً لفرضيته ، مستحلاً لحرمته ، فهو كافر حلالُ الدم ، يقتله القاضي إن أصر على اعتقاده ، ولم يتب منه ، وأما إن كان فطره عن فسقٍ ودناءة نفس ، لا عن جحودٍ ، فالقاضي يعاقبه بما يزجره ، ويحبسه ، ويمنع عنه الطعام في أيام رمضان إلا أن يتوب .

وأما عقوبات مدرسة رمضان الأخرية ، فالمفطر بغير عذر يُعلّق بعد موته بعُزْقوبه ، مشقوقَ الفم ، يسيل منه دمه ، كما يعلّق الجزّار الشاة المذبوحة : قدمها من فوق ، ورأسها من أسفل ، ويبقى على ذلك إلى يوم القيامة والحساب ، وهناك يُنظر في أمره : إن كان فطره جحوداً ، دخل النار خالداً فيها أبداً ، وإن كان فطره ليس عن جحود ، فأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه ، ولكنه لا

يخلد في النار ، نسأل الله ﷻ العافية .

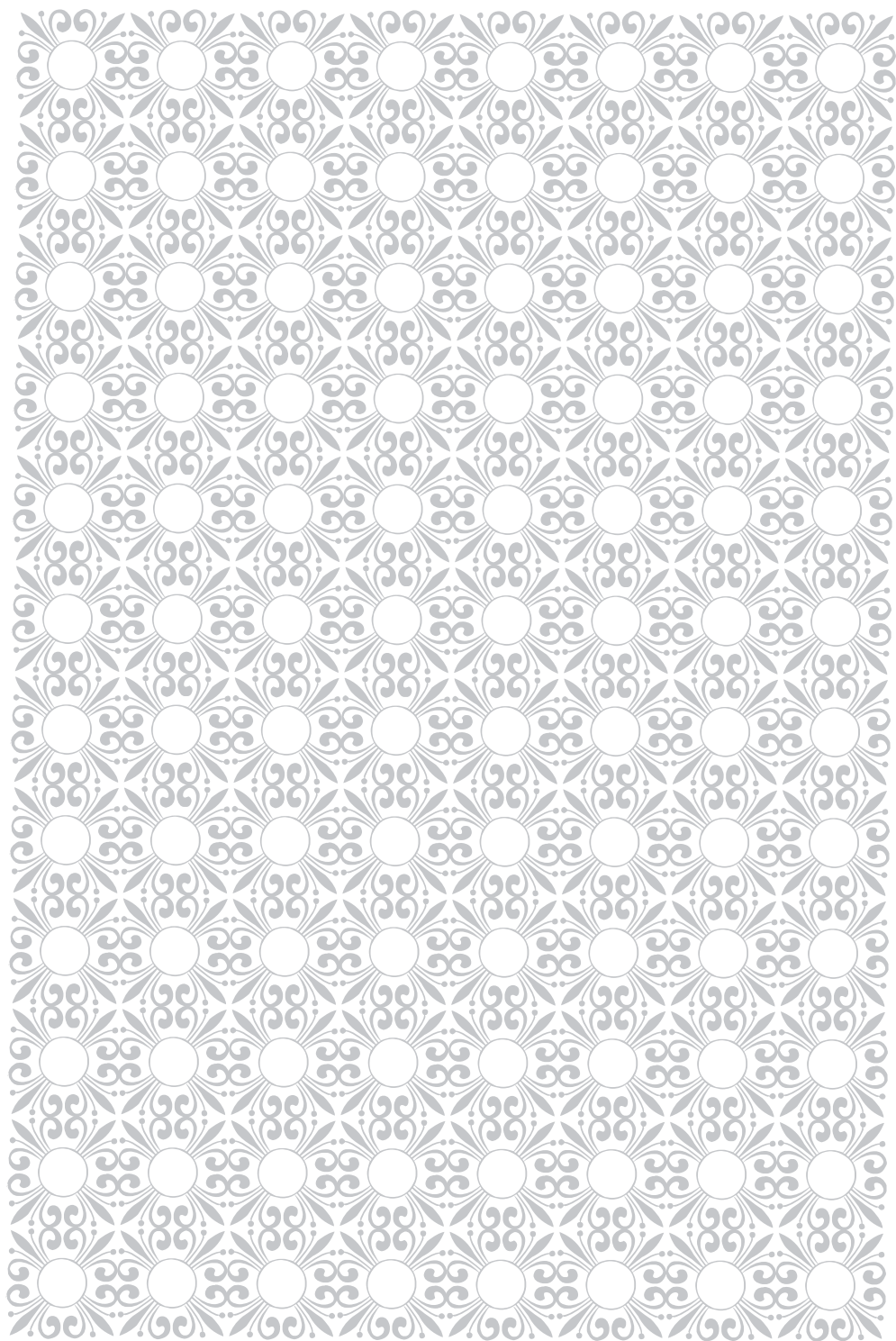
هذا والله أعلم ، اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا وصدقاتنا ، وصالح أعمالنا على الوجه الذي يليق بغناك وكرمك .

اللهم ، أنزل علينا وعلى المسلمين كافةً في عيدنا هذا رحمتك وبركتك وعافيتك وفرجك ونصرك ، وكلَّ خيرك ، يا ذا الجلال والإكرام ! .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَاهًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

والحمد لله رب العالمين ، وتقبل الله منا ومنكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





قائمة المصادر والمراجع^(١)

أ - القرآن الكريم وعلومه

١. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، زاد المسير في علم التفسير، حققه عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢. الطَّبَّري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ/٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١هـ/١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، حققه أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

ب - الحديث الشريف وعلومه

١. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (٢٣٥هـ/٨٤٩م)، المصنّف، حققه كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٢. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، حققه طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ط ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٣. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، حققه عبد القادر الأرئوط، دمشق، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط ١، من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٣م.
٤. ابن بطّال، أبو الحسن علي بن خلف (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، شرح صحيح البخاري، حققه

(١) تنبيه في دلالات بعض الرموز: د. م: عدم ذكر مكان دار النشر. د. ن: عدم ذكر دار النشر. د. ت: عدم ذكر تاريخ النشر.

- أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٥. ابن بُلْبُلان، الأمير علي بن بلبان (٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حققه شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٦. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقمه، محمد فؤاد عبد الباقي، وصحّحه محب الدين الخطيب، وعلّق عليه عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
٧. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (٢٤١هـ/٨٥٥م)، المسند، حققه شعيب الأرنؤوط، وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٨. ابن خُزَيْمة، أبو بكر محمد بن إسحاق (٣١١هـ/٩٢٣م)، صحيح ابن خُزَيْمة، حَقَّقَهُ د. محمد مصطفى الأعظمي، د. م، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٩. ابن عَلَّان، محمد علي بن محمد (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى به خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط ٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
١٠. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد (٢٧٣هـ/٨٨٦م)، سنن ابن ماجه، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، د. م دار إحياء الكتب العربية، د. ت.
١١. أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨)، سنن أبي داود، محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، د. ت.
١٢. الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
١٣. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٤. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، د. م، المكتب الإسلامي، د. ن.
١٥. الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف (٤٧٤هـ/١٠٨٢م)، المنتقى شرح الموطأ،

- مصر، مطبعة السعادة، ط ١، ١٣٣٢هـ.
١٦. الباكستاني، زكريا بن غلام، ما صح من آثار الصحابة في الفقه، جدة، بيروت، دار الخراز، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
١٧. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ/٨٧٠م)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، حققه محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
١٨. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو (٢٩٢هـ/٩٠٤م)، مسند البزار، حققه محفوظ الرحمن وآخرون، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٩٨٨ إلى ٢٠٠٩م.
١٩. البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، السنن الكبرى، حققه محمد عبد القادر عطا، ط ٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٠. البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، شعب الإيمان، حققه د. عبد العلي حامد، ومختار أحمد الندوي، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٢١. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، السنن، حققه أحمد شاکر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٢٢. الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (٢٥٥هـ/٨٦٨م)، سنن الدارمي، حققه حسين سليم أسد الداراني، السعودية، دار المغني، ط ١، ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م.
٢٣. السندي، أبو الحسن، محمد بن عبد الهادي (١١٣٨هـ/١٧٢٥م)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، بيروت، دار الجيل، د. ت.
٢٤. السندي، أبو الحسن، محمد بن عبد الهادي (١١٣٨هـ/١٧٢٥م)، حاشية السندي على سنن النسائي، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٥. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ/٩٧١م)، (٣٦٠هـ/٩٧١م)، المعجم الأوسط، حققه طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم

- الحسيني، القاهرة، دار الحرمين.
٢٦. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ/٩٧١م)، المعجم الصغير، حققه محمد شكور محمود الحاج أمير، بيروت، عمان، المكتب الإسلامي، دار عمار، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٢٧. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ/٩٧١م)، المعجم الكبير، حققه حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط٢، د. ت.
٢٨. العظيم آبادي، أبو الطيب محمد أشرف بن أمير (١٣١٠هـ/١٨٩٣م)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ.
٢٩. القارّي، أبو الحسن علي بن سلطان (١٠١٤هـ/١٦٠٥م)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٣٠. القرطبي، أبو العباس، أحمد بن عمر (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه محيي الدين ديب مستو وآخرون، دمشق، وبيروت، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٣١. مالك، أبو عبد الله بن أنس (١٧٩هـ/٧٩٥م)، الموطأ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
٣٢. المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.
٣٣. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ/٨٧٥م)، صحيح مسلم، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٣٤. المناوي، محمد عبد الرؤوف (١٠٣١هـ/١٦٢٢م أو نحوه)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجارية، ط١، ١٣٥٦هـ.
٣٥. المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، الترغيب والترهيب، حققه إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٦. النَّسَائِي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ/٩١٦م)، السُّنَن، حققه عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٣٧. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
٣٨. النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (٤٠٥هـ/١٠١٥م)، المُسْتَدْرَك على الصحيحين، حققه مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٣٩. الهيثمي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ/١٤٠٥م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حققه حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ج - الفقه الإسلامي

١. ابن المنذر، أبو بكر، محمد بن إبراهيم (٣١٩هـ/٩٣١م)، الإجماع، حققه أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان، القاهرة، دار الآثار، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٢. ابن الهُمام، محمد بن عبد الواحد (٨٦١هـ/١٤٥٧م)، فتح القدير، د. م، دار الفكر، د. ت.
٣. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (١٢٥٢هـ/١٨٣٦م)، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي (صَوَّرَها دار الفكر، بيروت)، ط ٢، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
٤. ابن قُدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد (٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، المغني، د. م، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٥. البُهوتي، أبو السعادات منصور بن يونس (١٠٥١هـ/١٦٤١م)، كشف القناع عن متن الإقناع، علق عليه هلال مصيلحي هلال، بيروت، عالم الكتب، د. ت.
٦. الحصكفي، محمد بن علي (١٠٨٨هـ/١٦٧٧م)، الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، متن (رد المحتار على الدر المختار) السابق.

٧. د. الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق، دار الفكر، ط ٤، د. ت.
٨. الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، د. م، دار الفكر، د. ت.
٩. الشَّريني، محمد بن أحمد (٩٧٧هـ/١٥٦٩م)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، د. م، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
١٠. الكاساني، أبو بكر بن مسعود (٥٨٧هـ/١١٩١م)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
١١. المرغيناني، أبو الحسن علي بن أبي بكر (٥٩٣هـ/١١٩٧م)، الهداية في شرح بداية المبتدي، [متن فتح القدير، مطبوع معه].
١٢. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية، مصر، دار الصفوة، ط ٤، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

د - السَّير والتراجم

١. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ/١٣٥٠م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، حققه شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٣١٨هـ/١٩٩٨م.
٢. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، البداية والنهاية، حققه عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. م، دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٣. خطاب، محمود شيت، قادة فتح العراق والجزيرة، بيروت، دار الفكر، ط ٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٤. المزي، أبو الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن (٧٤٢هـ/١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

هـ - التوحيد والأدب والأخلاق

١. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، صيد الخاطر، عناية حسن المساحي سويدان، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٢. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (٢٤١هـ/٨٥٥م)، الزهد، وضع حواشيه محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٣. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (٤٦٣هـ/١٠٧١م)، بهجة المجالس وأنس المجالس، حققه محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨١م.
٤. أبو غدة، عبد الفتاح الحلبي، قيمة الزمن عند العلماء، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١٠، د. ت.
٥. الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم (ت ١١٧٦هـ/١٧٦٣م)، حجة الله البالغة، حققه السيد سابق، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، تفسير أسماء الله الحسنى، حققه عبيد بن علي العبيد، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، العدد ١١٢، السنة ٣٣، ١٤٢١هـ.
٧. عبد الرحمن، ياسر، موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، القاهرة، مؤسسة اقرأ، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٨. الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد (٥٠٥هـ/١١١١م)، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
٩. القشيري، عبد الكريم بن هوازن (٤٦٥هـ/١٠٧٣م)، الرسالة القشيرية، حققه د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، القاهرة، دار المعارف، د. ت.
١٠. النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا (٣٩٠هـ/٩٩٩م)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، حققه عبد الكريم سامي الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١١. الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد (٣٢٥هـ/٩٣٧م)، الموشى، حققه كمال مصطفى، مصر، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٣٧١هـ/١٩٥٣م.

و - اللغة العربية وأدبها ومصطلحاتها

١. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مُكْرَم (٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
٢. التَّنُوخِي، أبو علي، المحسن بن علي (٣٨٤هـ/٩٩٤م)، نِشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، د. م، د. ن، ١٣٩١هـ.
٣. الجُرْجَانِي، أبو الحسن علي بن محمد (٨١٦هـ/١٤١٣م)، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٤. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، حققه أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٥. الفَيَّومِي، أبو العباس، أحمد بن محمد (نحو ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، د. ت.
٦. الْمُطَرِّزِي، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد (٦١٠هـ/١٢١٣م)، الْمُغْرِب في ترتيب المعرب، د. م، دار الكتاب العربي، د. ت.
٧. الوطواط، أبو إسحاق محمد بن إبراهيم (٧١٨هـ/١٣١٩م)، غُرر الخصائص الواضحة، وُغُرر النقائض الفاضحة، حققه إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

ز - التاريخ والجغرافيا

١. الحَمَوِي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٥
الحلقة الأولى (٧ - ١٣)	
المادة الأولى - ثقافة رمضان (١).....	١٠
حتى تؤتي العبادة ثمارها: حسن أدائها، الإخلاص فيها، تصور ثوابها	
الحلقة الثانية (١٤ - ٢٠)	
ثقافة رمضان (٢) حتى تؤتي العبادة ثمارها: مراقبة آثارها. لماذا سمي رمضان؟. آداب رؤية الهلال. معنى البركة	
الحلقة الثالثة (٢١ - ٢٧)	
ثقافة رمضان (٣): رمضان شهر مبارك. متى فرض الصوم وكيف؟	
المادة الثانية - صوم البطن والفرج.....	٢٥
الحلقة الرابعة (٢٨ - ٣٣)	
صوم البطن والفرج. مفسدات الصوم	
الحلقة الخامسة (٣٤ - ٤٠)	
أثر نقل الدم في الصوم. الأكل والشرب مع أذان الفجر	
الحلقة السادسة (٤١ - ٤٨)	
الأكل أو الشرب بعد طلوع الفجر خطأً أو نسياناً	
المادة الثالثة - صوم اللسان والجوارح.....	٤٢
صوم اللسان	

الحلقة السابعة (٤٩ - ٥٥)

صوم الجوارح

المادة الرابعة - التوازن النفسي مع النعمة وجوداً وعدمًا ٥٠

المادة الخامسة - إرغام الشيطان ٥٣

الشيطان عصيٌّ للرحمن ، وعدوٌّ للإنسان . من أضاليل الشيطان

الحلقة الثامنة (٥٦ - ٦٢)

من أضاليل الشيطان . حال الشيطان في رمضان

الحلقة التاسعة (٦٣ - ٦٨)

لماذا تفتح أبواب الجنة في رمضان ، وتغلق أبواب جهنم ؟ . منازعات ومشاجرات والشياطين مصفدة !

المادة السادسة - الهمة والنشاط ٦٦

الهمة والنشاط : غزوات وفتوحات

الحلقة العاشرة (٦٩ - ٧٤)

الهمة والنشاط : تلاوة القرآن . صلاة القيام

الحلقة الحادية عشرة (٧٥ - ٨١)

الهمة والنشاط : الاعتكاف

المادة السابعة - الجود والكرم ٧٩

الحلقة الثانية عشرة (٨٢ - ٨٧)

المنفق الصادق

المادة الثامنة - التحرر من قيد العادة ٨٣

الحلقة الثالثة عشرة (٨٨ - ٩٣)

التحرر من قيد العادة : كلمات ناصحة للمدخنين

المادة التاسعة - احترام الوقت ٩١

الموضوع الصفحة

الحلقة الرابعة عشرة (٩٤ - ١٠٠)

خصائص الوقت . استثمار الوقت

المادة العاشرة - الإخلاص ٩٩

أهمية الإخلاص . معنى الإخلاص

الحلقة الخامسة عشرة (١٠١ - ١٠٧)

علاقة الصوم بالإخلاص . مكافآت مدرسة رمضان: التقوى ، إجابة الدعاء

الحلقة السادسة عشرة (١٠٨ - ١١٤)

مكافآت مدرسة رمضان: ابتهاج الصائم بصومه . عِظم الأجر

الحلقة السابعة عشرة (١١٥ - ١٢١)

مكافآت مدرسة رمضان: غفران الذنوب . خُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . باب في الجنة للصائمين حصراً

الحلقة الثامنة عشرة (١٢٢ - ١٢٨)

مكافآت مدرسة رمضان: شفاعة الصوم للصائمين . من مات صائماً دخل الجنة . عِتَقُ من النار مع كل وجبة إفطار

الحلقة التاسعة عشرة (١٢٩ - ١٣٥)

عقوبات مدرسة رمضان: العقوبة الأخروية . العقوبة الدنيوية . هل يُعرَف وقت ليلة القدر؟ هل لها علامة تعرف بها؟ هل هناك دعاء مأثور فيها؟

الحلقة العشرون (١٣٦ - ١٤٢)

حكم صدقة الفطر . نصابها . مقدارها . مستحقوها . وقت وجوبها . توزيعها . إخراجها إلى غير بلدها . حكم تأخيرها عن وقتها . الحكمة منها

الحلقة الحادية والعشرون (١٤٣ - ١٤٩)

ما يُشرَع فعله ليلة العيد حتى صلاة العيد: إخراج زكاة الفطر . الإكثار من التكبير

الحلقة الثانية والعشرون (١٥٠ - ١٥٦)

ما يُشَرَّعُ فعلُهُ ليلة العيد حتى صلاة العيد: التبشير بإهلال شهر شوال . الاغتسال قبل صلاة العيد

الحلقة الثالثة والعشرون (١٥٧ - ١٦٣)

ما يُشَرَّعُ فعلُهُ ليلة العيد حتى صلاة العيد: لبس أحسن الثياب ، والتطيُّب بأجود الأطياب

الحلقة الرابعة والعشرون (١٦٤ - ١٦٩)

ما يُشَرَّعُ فعلُهُ ليلة العيد حتى صلاة العيد: الفطر على تَمَرَاتٍ قبل الصلاة . الخروج إلى الصلاة ماشياً

الحلقة الخامسة والعشرون (١٧٠ - ١٧٦)

ما يُشَرَّعُ فعلُهُ ليلة العيد حتى صلاة العيد: دعوة النساء إلى صلاة العيد

الحلقة السادسة والعشرون (١٧٧ - ١٨٣)

أهمُّ أعمال يوم العيد: صلاة العيد ، البهجة والسرور

الحلقة السابعة والعشرون (١٨٤ - ١٨٩)

أهمُّ أعمال يوم العيد: التهنئة بالعيد ، الرجوع من المصلى ماشياً مع مخالفة الطريق

الحلقة الثامنة والعشرون (١٩٠ - ١٩٦)

أهمُّ أعمال يوم العيد: اللهو المباح

الحلقة التاسعة والعشرون (١٩٧ - ٢٠٣)

أهمُّ أعمال يوم العيد: التوسعة على العيال . التصدق على الفقراء

الحلقة الثلاثون (٢٠٤ - ٢١١)

لماذا كانت المرأة في العيد أكثر تصدقاً من الرجل؟ هل يجوز للمرأة أن تتصدق بمالها بدون إذن زوجها؟ هل يجوز إعطاء صدقة الفطر أو صدقة العيد لغير المسلم؟ . التذكير بصيام التطوع . خلاصة الحلقات

